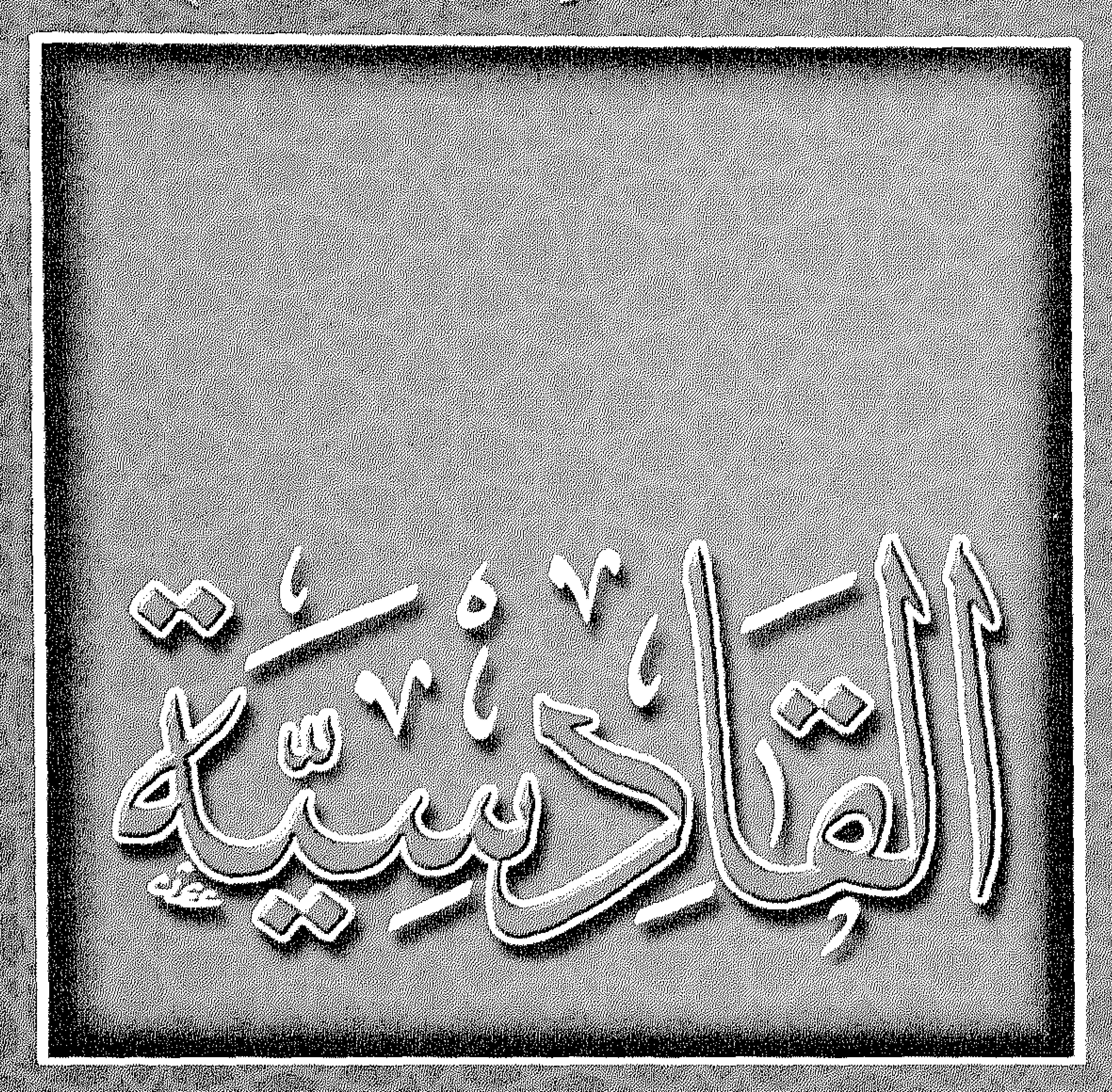
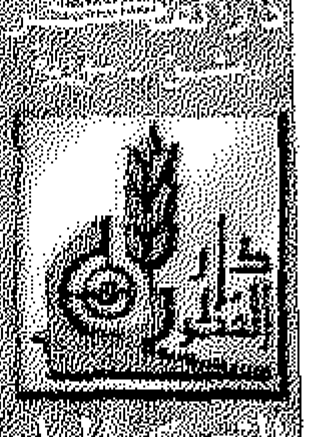
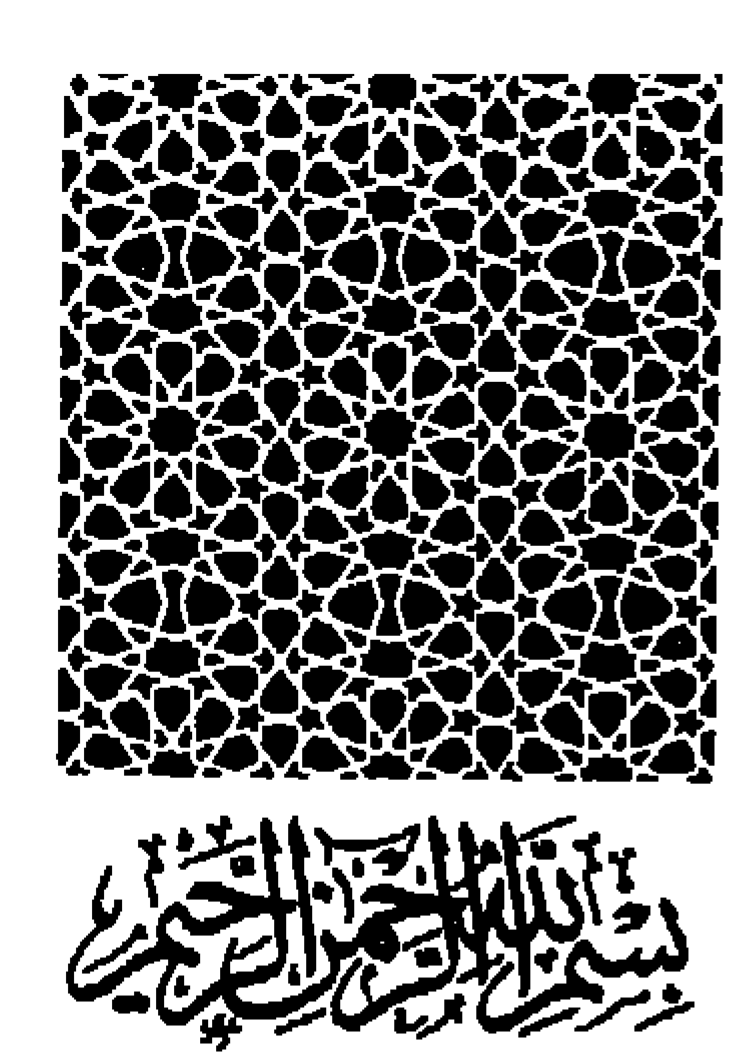
المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام



بقيادة سعد بن أبي وقاص

الدكتور شوقي أبو خليل





بسم الله الرحمن الرحيم

القادسية

بقيادة سعد بن أبي وقاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى الامة التي كبا جوادها فسقط فارسها ، أنشد لها تضميدالجراح ، وأن يعلو الفارس ثانية ممتشقاً حسامه على ظهر جواده ، ليرجـع الى أمتـه مكانتهـا الاولى تحت الشمس .

القادسية : بقيادة سعد بن أبي وقاص/ شوقي أبو خليل . - دمشق : دار الفكر، ١٩٩٨ . - ١١٢ص؛ ٢٠سم. - (المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام)
صدرت الطبعة الرابعة عام ١٩٨٠ .
١-٩٥٦,٠٣ خ ل ي ق ٢- العنوان ٣- أبو خليل ٤- السلسلة
مكتبة الأسد
ع- ٣٣٠/ ٢/ ١٩٩٨

الدكتور شوقي أبو خليل

القادسية

بقيادة سعد بن أبي وقاص

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٥,٠٣١
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٦٤٥,٠٣١
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-500-6
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-511-1
الرقم الموضوعي: ٩٣٠
الموضوع: تاريخ العرب والإسلام
السلسلة: المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام
العنوان: القادسية
التأليف: د. شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١١٢ ص
قياس الصفحة: ١٤×٢٠سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
1418هـ = 1998 م
ط4: 1980 م

تصدير الطبعة الجديدة

❋ الحمد لله القائل في محكم التنزيل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » ، والقائل : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إمام المجاهدين والمبعوث رحمة للعالمين ، وبعد ..

يسعدني أن تجد سلسلة المعارك الاسلامية هذه ، طريقها الى مجتمعنا ، لينسج جيلنا على منوالها ، ولتغرس في نفوس النشء بذار التضحية والفداء ...

فما تزال الأمم بخير ، ما دامت ترتبط بتاريخها ورجالاتها وأمجادها .. ارتباطاً وثيقاً ، أما عندما تتنكّر الأمم لصانعي تاريخها وتراثها فانها تنحدر من علياء السؤدد والعزة .. وعندما تبدأ عيش التقليد ، فتتخبط هنا وهناك ، مستجدية نهجاً أو مثلاً أعلى لا بدّ منه ، يطغى غيرها عليها ، وتتزيى بزيٍّ غريب عنها ، إما تقليداً وغباء ، وإما عن سوء نية وهدم للتراث عن قصد .

❋ وستبقى الأمة العربية بخير ، ما بقيت تتغنى بعمر وخالد ، وسعد والمثنى ، والنعمان بن المقرّن وطارق ...

* ستبقى بخير ، ما بقي الفرد فيها يعرف عن خالد ، أكثر مما يعرف عن بسمارك ، ويعرف عن الرشيد ، أكثر مما يعرف عن نقفور وشارلمان ، ويعرف عن محمد بن القاسم ، أكثر مما يعرف عن نابليون ، ويعرف عن قتيبة وعقبة ، أكثر مما يعرف عن كرومويل ، ولافاييت ، وروبسبيير ..

* واذا انقلبت الحال !! فلا أقول الا ما قاله الشاعر الخالد محمد اقبال :

كل من أهمل ذاتيته
فهو أولى الناس طرّاً بالفناء

لن يرى في الدهر قوميته
كل من قلّد عيش الغرباء .

* ربي .. أسألك مزيداً من التوفيق في خدمة هذه الأمة ، وخدمة تراثها .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً .

المؤلف

شوقي أبو خليل

دمشق ـ سورية

ص.ب : ٦٢٢٢

تصدير

« ان امة تستحي ان تفخر بتاريخها ،
امة لا تستحق الحياة ••• »

أمتنا العربية في أيامها الحاضرة : تخوض مرحلة حاسمة في تثبيت ذاتيتها وحقها في الحياة ، في ظروف مصيرية حالكة ، فعدوها يتربص بها الفرص ، ويعرف من أين تؤكل الكتف ، ان هذه الامة تجابه عدوا يستخدم كل سلاح علمي وأدبي ونفسي ، لاضعاف معنوياتها ، ويستمد هو من تاريخه رابطة له •

ويحاول هذا العدو اللئيم طعن التراث العربي الاسلامي ، الذي يمدنا بطاقة روحية معنوية جبارة ، بسلاح فتاك •

منذ فترة جمع الصهاينة تراثنا العربي الاسلامي الذي وجد في ظرف أو بآخر ، في جامعات ومكتبات أوربة ، جمعوه ودسّوا في نسب مؤلفي هذه الكتب نسبا يهوديا ؛ وذلك ليظهر عدونا بمظهر من قدم حضارة رائعة لهذا العالم ، مع العلم أن هذه الحضارة حضارتنا ، والتراث تراثنا •

هذا العدو ••• يحاربنا منذ أن ظهرت نواة الدولة العربية الاسلامية في المدينة المنورة ، على يد رسول الله ﷺ ، فهم الذين جمعوا الاحزاب ضد النبي • ونقضوا عهودهم ومواثيقهم أثناء

حصار الاحزاب للمدينة ، ولكن الرسول ، عرف كيف يقتص منهم ويذلهم ، وأعداء الامس هم أنفسهم أعداء اليوم .

انتصرت هذه الامة في ماضيها على أسس سليمة ، فحققت ذاتيتها بتكاتفها ، وتكافلها ، ووحدتها ، بمحبة كل فرد في الامة لافرادها كلها ، انتصرت هذه الامة ، بروح معنوية صادقة عالية ، بعد أن آمنت بربها ، وبرسالتها ، التي سارت بها في الآفاق ، لتبلغها الى العالم أجمع .

الاستعمار قديماً ، والصهيونية العالمية حديثاً ، علما أن تاريخ هذه الامة ، فيه من روح الامجاد ، ما يجعل الأحفاد كأجدادهم ، فيه ما يجعل الخلف كالسلف ، فما سبيلهما لطمس هذه الروح ، كي لا تصل الى الخلف ؟ فكرا وقدرا بأنه يجب أن يعلو غبار النسيان على صفحات هذا التاريخ الناصع ، وأن ننسى أسماء أبطالنا ، الذين وسعوا رقعة العروبة شرقا وغربا ، فانه ما اطلع عربي على تاريخ معارك أمته كالقادسية ، اليرموك ، نهاوند ، ذات الصواري ، بلاط الشهداء .. الا كانت حافزا له للتمسك بأمجاده ، والدفاع عن أمته ، ولن يرضى أن يكون خلف أولئك الآساد ، الا أشبالا مثلهم ، وما سمع أسماء أبطاله ، الا سمع في قلبه نغمات رائعة ، تشده إليهم فخرا وطربا بهم .

واذا برزت ناحية جمالية رائعة في تاريخنا ، عمد كثيرون الى طمسها أو إضعاف روايتها وبالتالي إهمال أهميتها وأثرها في النفس ، فكم قرأت في كتب عربية : لمؤلفين عرب ، كلمات مثل : قيل ، يقال ،

وذكر في بعض الكتب ، ذكرت رواية الحادثة التالية ••• فما هذا الا لتقليل أهمية حوادث في تاريخنا المجيد ، تملأ أرواحنا عزيمة ، ولا أدري لصالح من تكتب مثل هذه الكتب ؟ ولا أدري الى متى سنسكت عن ابراز هـذا التاريخ العربي الاسلامي ، بشـكله الحقيقي اللائق ؟

والذي أنشده من هذا الكتاب وما سيليه من كتب « أخوة في أسرة واحدة » باسم « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » في هدفين :

الاول : ان أكثر أبنائنا وشبابنا العربي : لم يطلع على أمهات الكتب العربية التاريخية ، وما فيها من روائع وجمال وفتوح ، فهـم لم يستخلصوا منهـا شيئا ، فوقت شبابنا لا يسمح لهـم بذلك ، وان وجدت المراجع ، ووجد الوقت ، فهم يستصعبون القراءة بها والمتابعة ، لاتباع أكثر هذه المراجع نظام الحوليات في سرد تاريخنا ، ولهذا ابتغيت توصيل ثقافة تاريخية اسلاميـة ، بأبسط السبل ، الى يد المواطن ، معتمداً على أوثق كتبنا التاريخية.

وهدف ثان : ألخصه بهذا القول « ••• ان الاوربيين قـد وجدوا من علمائهم ، من يشيد بعظمائهم ، ويستقصي نواحي هذه العظمة ، وهم يعملون الخيال في تبرير العيب ، وتكميل النقص ، تحميسا للنفس، وإثارة لطلب الكمال. أما نحن، فقد كان بيننا وبين عظمائنا سدود وحواجز حالت بين شبابنا ، وجمهورنا ، والاستفادة منهم » ، فرأيت لزاما عليّ ايفاء هذا التاريخ حقه ، مع أنه ليس بحاجة الى من يعمل فيه الخيال لتبرير العيب ، فليس فيه عيب ،

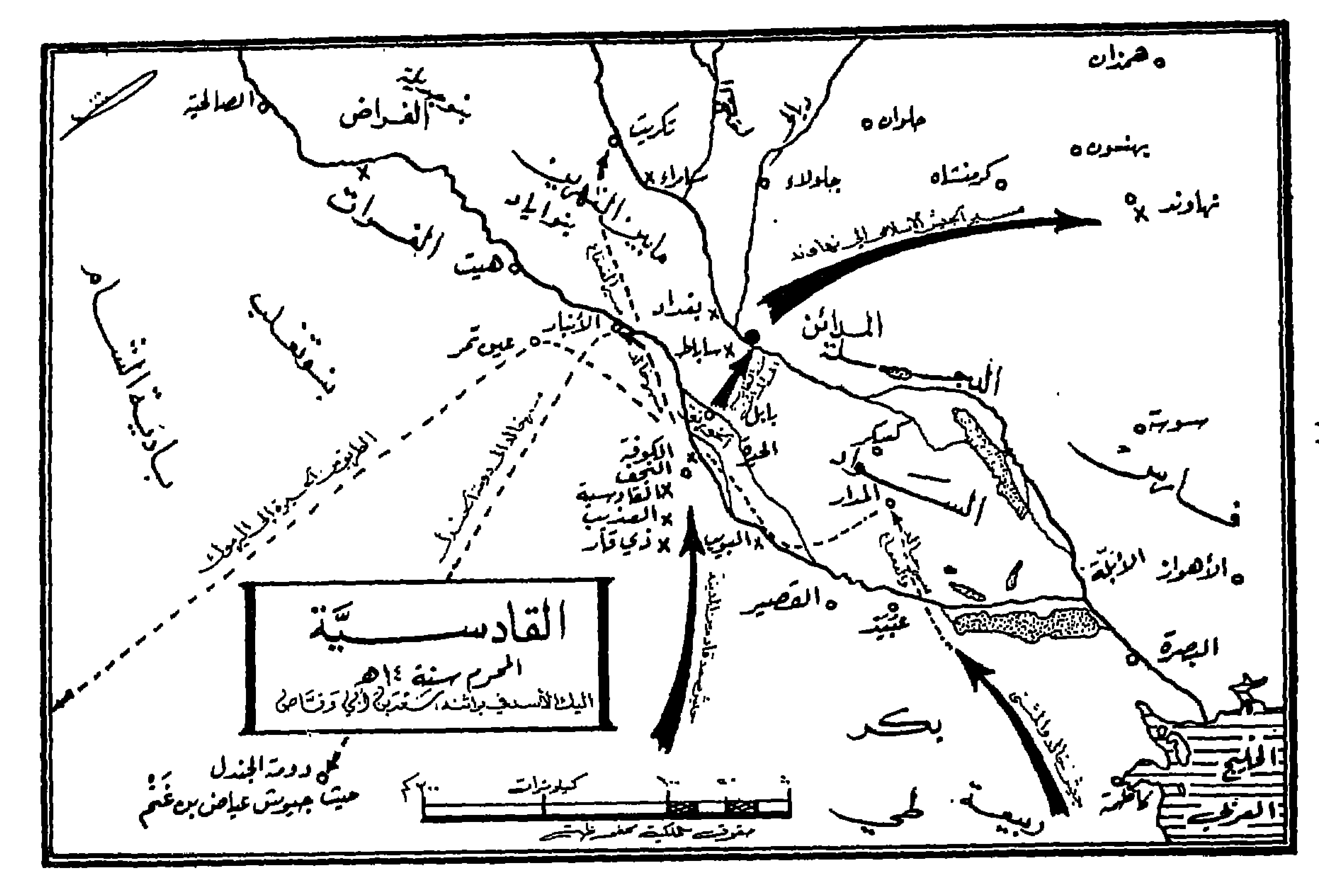
وليس بحاجة الى من يكمل النقص ، فليس فيه نقص • رأيت واجبا علي أن أعطي لتاريخي حقه ، وأن أنشر ما يناسب زماننا منه ، ونحن في معارك مستمرة مع عدونا •

لزاماً علينا ، أن ننشر هذه المعارك التي يجب أن نفخر ونعتز بها ، فأبرزت النقاط الهامة منها ، متناسيا عن قصد بعض الاشياء التي لا طائل منها •

سأبرز ما يناسب ، مع تحليل وتعليق قصير موجز في بعض الاماكن ، وسأذكر بعض الحوادث الرائعة دون تعليق أحياناً ، تاركا هذه الحوادث تفعل فعلتها في نفس وخيال القارىء ، فلعل التعليق عليها يفسد جمالها ، فهي ليست بحاجة الى تفسير أو تعليق ، بل هي بحاجة الى خيال خصب ، وضمير حي ، يتفاعل معها ويقتبس منها • علّنا نقف أمام عدونا يقظين ، ونكون كأجدادنا في المعارك التي خاضوها ، خرجوا للشهادة ، فكتب الله لهم الحياة ، مع العزة والكرامة والمنعة والخلود والخير ، فسَعِدوا وأسعدوا ، فتحرروا وحرروا ، وتركوا مآثر تذكر الاحفاد بقدوة مثالية مخلصة للعالم أجمع ، وتخاطبهم : أن كونوا على نهجنا وسيروا على دربنا •

والله أسأل أن يوفقني فيما شرعت فيه ، في هذه السلسلة ، فلعلها ترياق من داء النسيان لأمجادنا وتاريخنا ، يشفى به من ليس بميؤوس شفاؤه ، وانه لجهاد يطيب لي أن أبدأه فعلى بركة الله •

دمشق
٢٦ رجب ١٣٩٠ هـ
٢٦ ايلول ١٩٧٠ م



القادسية
المحرم سنة ١٤هـ
همذان
حلوان
كرمنشاه
نهاوند
جلولاء
سامراء
تكريت
الصالحية
الفراض
الفرات
هيت
ما بين النهرين
بغداد
ساباط
المدائن
الأنبار
عين تمر
بنو تغلب
بادية الشام
الكوفة
النجف
القادسية
ذي قار
البويب
القصير
بكر
ربيعة
طي
دومة الجندل
حيث جيوش عياض بن غنم
بابل
الحيرة
المذار
البصرة
الأهواز
فارس
الخليج العربي
كاظمة
كيلومترات

القادسية

بقيادة

سعد بن أبي وقاص

المحرم سنة ١٤ هـ

صيف عام ٦٣٥ م

ـ تذاكر عمر مع أصحابه فيمن يتولى قيادة « القادسية » ، فقالوا له : « اليك الاسد في براثنه » سعد بن أبي وقاص ، فأعلن النفير العام في جزيرة العرب ، وجند كل الامكانات ، وقال كلمته الشهيرة :

« والله لأضربن ملوك العجم ، بملوك العرب » .

دَوْلةالفُـرْس

✱ تتـالى على المـدائن ملوك كـان آخـرهم يزدجرد بن شهريار .

تمكن أرْدَشِير بن بابك ، أن يوحد كلمة الفرس ثانية ، بعد أن فرقها الاسكندر المكدوني ، فاتخذت دولته « المدائن » عاصمة، وأطلق عليها العرب اسم « دولة الاكاسرة » .

ظهر اردشير عـام ٢٣٠ ميلادية ، فوحد فارس والعراق ، وأطراف الجزيرة العربية، ثم جاء كسرى أنوشروان[١]، الملقب بالملك

(١) حكم الفرس اثنان وثلاثون ملكا ، وهم بالتسلسل :

١ ـ أردشير بن بابك ، ٢ ـ ابنه سابور ، ٣ ـ ابنه هرمز « الجريء » ، ٤ ـ ابنه بَهْرام ، ٥ ـ بهرام بن بهرام بن هرمز ، ٦ ـ شاهنشاه بن بهرام ، ٧ ـ ابنه نَرْسي، ٨ ـ ابنه هرمز ، ٩ ـ ابنه سابور « ذو الأكتاف » ، (١٠) أخوه اردشير بن هرمز ، ١١ ـ ابن أخيه سابور بن سابور ، ١٢ ـ أخوه بهـرام بن سابور ، ١٣ ـ أخوه يَزْدَجِرْد بن سابور « الأثيم الخشن » ، ١٤ ـ ابنـه بَهْرام جور ، ١٥ ـ ابنـه يزدجرد بن بهرام جور ، ١٦ ـ ابنه فيروز بن يزدجرد ، ١٧ ـ ابنه بلاش بن فيروز ، ١٨ ـ أخوه قُبَاذ بن فيروز ، ١٩ ـ كسرى أنو شِرْوان بن قباذ « وفي زمنه ولـد المصطفى ﷺ » ، ٢٠ ـ هُرمُز بن كسرى أنو شروان ، ٢١ ـ كسرى أبَرْويز بن هرمز ، ٢٢ ـ ابنه شيرويه قباذ ، ٢٣ ـ ابنه اردشير ، ٢٤ ـ شَهْرَبراز « ولم يكن من الأسرة المالكة » ، ٢٥ ـ بوران بنت كسرى ابرويز بن هُرْمُز ، ٢٦ ـ جُشْنَسْدِه « من بني عم أبرويز » ، ٢٧ ـ آزَرْ ميدخت بنت كسرى أبرويز ، ٢٨ ـ كسرى بن مِهرَاجشْنَس « من عقب اردشير بن بابك » ، ٢٩ ـ آزر ميدخت خرٔازاذ خُسْرُو « من ولد أبرويز » ، ٣٠ ـ فيروز بن جهراجشنس ، ٣١ ـ فرخواذ خسروَ « رجل من =

العادل ، لحسن سيرته في شعبه ، وهو الذي ولد في عهد الرسول ﷺ ، ثم خلفه هرمز ، ومن بعده كسرى أبرويز ، وهو الـذي دعاه النبي ﷺ الى الاسلام ، فرأى أمرا عظيما أن يدعوه « عبد من عبيده » ليكون خاضعا لدينه ، فراسل عامله على اليمن ، يطلب منه أن يرسل اليه ذلك الراعي ، ليرى فيه رأيه ، ولكن النبي ، أخبر بمقتل أبرويز يوم مقتله ، رغم سعة المسافة ، قتله ابنه شيرويه ، واستلب منه تاج الملك ، وخلفه من بعده ابنه اردشير وهو طفل ، فتكفله أحد عظماء المملكة ، فغاظ هذا أحد قواد الجيش ، وهـو «شهربراز» (كيف ولي اردشير دون مشورته) ، فعاد من مواقعه، وكان في جبهة الروم ، واحتل العاصمة المدائن ، واستولى على الملك أربعين يوما فقط ؛ حيث قتل ، وعين مكانه ابنـة كسرى « بوران بنت أبرويز » ، أختَ شيرويه ، وكانت ولايتها في آخر حياة رسول الله ﷺ ، وتتالى على المدائن ملوك ، حتى وصـل الملك الى يزْدجرد بن شهريار ، وهو آخرهم •

العظماء عند الفرس » ، ٣٢ ـ يَزْدَجِرْد بن شهريار بن كسرى • «آخر ملوك الفرس» راجع : « الطبري ، ج ٢ ، ص : ٣٧ ـ ٢٣٤ .
طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦١ »

الوضع الدولي

✶ صلح بين الفرس والروم
عام ٦٢٨ م ٠

ـ نزاع بين الفرس والروم :

وهو نزاع دائم ، كان ميدانه البلاد العربية « العراق وسورية » ، وكان سجالا بينهما : فمرة ينتصر الفرس ، فيمتد سلطانهم حتى يصل الى شواطىء البحر المتوسط ، ومرة يطغى عليهم الجيش الرومي ، فيستلب منهم سورية ، ويملك ما بين النهرين ، وأقرب هذا النزاع (الذي مسرحه بلاد الشام) الى العهد الاسلامي ، ما حصل أولا ٠ من حروب بين جنود « فوقا » ملك الروم ، وجنود كسرى « انوشروان » ملك الفرس ، وانتصر فيها الفرس ، حتى وصلوا البوسفور ، يسفكون دم كل من يقف في وجه زحفهم ، واستطاع الفرس عام ٦١٦ م في عهد هرقل ، السيطرة على فلسطين وعلى مصر ، وذكر القرآن الكريم هذا ابان هذه الحروب ، حيث قال تعالى : « **غلبت الروم في أدنى الارض** » ، ثم قال عز شأنه مخبرا عمن تكون له العاقبة : « **وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد** » ، ثم أخبر جلت قدرته عما سيحدث بعد انتصار الروم ، ألا وهو انتصار العرب المسلمين : « **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » ٠ وبالفعل حدث هذا حسب إخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هرقل

جموعه بتركيز كبير ، وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذته، وغفلوا عن الحفاظ عليه ، وتناسوا دوام الاستعداد ، هاجم هرقلُ الفرسَ هجوم المستقتل ، فانتصر عليهم في نفس أيام انتصار المسلمين في بدر ، « في شهر أيار ٦٢٤ م » ، فأذاق الفرسَ ما ذاقه شعبُهُ منهم من قبل ، ولما ملك « شيرويه » في فارس ، صالح الروم عام ٦٢٨ م ، ورد أسراهم ، وردوا أسراه ، واتخذ هرقل من حمص مركزا له ، لانها كانت مدينة لهو وترف .

هذا مجمل الوضع الدولي لاول عهد الخلفاء الراشدين . دولتان عظيمتان كبيرتان تتصارعان على بلادنا ، ولم يخطر ببالهما العرب ، بل لم يحسبوا لهم حسابا ، ومن مأمنه يؤتى الحذر ، فقد وجدت هاتان الدولتان بعد قليل ، أن العرب مارد خرج من قمقمه ، وأنى لهم أن يثبتوا !؟!

سنرى كيف انطلق هؤلاء العرب المسلمون من جزيرتهم ، لا للفتح لانه فتح . انهم انطلقوا يؤمنون برسالة السماء ، مندفعين بهدي رسول كريم ، في يد قرآن كريم يسطع نورا ، وفي الاخرى سيف للدفاع عنه ، وما عرف عن هذا السيف الا الدفاع عن الحق، وما أكله الصدأ يوما ، اذ كان بيد أمينة . هذا السيف لا يحب سفك الدماء لسفك الدماء ، بل قوة لاحقاق الحق والخير في العالم، وسنوضح هذا في جزء مقبل ان شاء الله ، ان سفك الدماء فيه قوة ، فاذا جاء الايمان والعلم اللذان جاء بهما الاسلام ، انقلبت هذه القوة من سفك دماء بالباطل الى سفك دماء بالحق ...

فالى الجبهة الفارسية ، ومعركتها الفاصلة « القادسية » .

* * *

جَبهَة الفرسْ قبل القادِسيَّة

✶ خالد إلى هرمز :
« أسلم تسلم ... والا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

مناوشات جنوب العراق :

لعب الفرس دور المحمس والمشجع والممول للمرتدين والمتنبئين ، لا حبا فيهم ، بل لتقويض دعائم الدولة الاسلامية الناشئة . لقد كانت حركات الفرس المريبة ، على حدود الدولة الناشئة ، سببا من أسباب فتح الجبهة الفارسية ، فلما انتهى الخليفة الراشدي الاول من تهيئة أوضاع الجزيرة وتهدئتها ، بدأ يفكر في جبهة الشرق .

كان المثنى بن حارثة الشيباني ممن حارب المرتدين ، فلما انتهى منهم ، وجد لزاما على نفسه أن يخترق البحرين والقطيف وهجر[1] ، حتى مصب دجلة والفرات للقضاء على الفرس وعمالهم ، ممن عاون المرتدين بالبحرين . ورأى لزاما عليه أن يحرر هذه المناطق وما يليها من يد الفرس ، الذين أرادوا وضع المسلمين بين نارين ، نار المرتدين من جهة ، ونار الفرس من جهة

(١) مواضع في شرق الجزيرة العربية على الخليج العربي .

أخرى ، ولما انتهى أبو بكر الصديق رضي الله عنه من تهيئة الاوضاع الداخلية في الجزيرة العربية ، انتدب أعظم قائد عرفه تاريخ الاسلام ، انتدب الى جبهة الفرس سيفا من سيوف الله ، هو خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، ليغزو بلاد فارس (**هذه البلاد التي بدأت لدولة الاسلام العداء**) ، وليضع حدا لتحركاتهم المشبوهة المريبة ، وليعلمهم عمليا أن أمة العرب تبدلت، وصارت محور الرحى في هذه الدنيا ، ولم تعد في عالم النسيان . أمر الصديق خالدا ألا يستعين بمرتد ، وأن يستنفر كل من حارب المرتدين ، أراد الصديق أن يبقى الجيش في صفائه الاول ، وايمانه المعهود ، وعزيمته المعروفة ، وصل خالدا كتابُ انتدابه لجبهة الفرس وهو في « اليمامة » ، وقد فرغ من المرتدين ، فسار حتى التقى بالمثنى الذي كان يحارب « هرمز » ، والذي طارت أخبار انتصاره الى المدينة ، فأحبه الناس دون أن يروه ، فكتب خالد الى هرمز كتابا يقول فيه :

« **أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرر بالجزية والا فلا تلومن الا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة** »(١) .

فلما وصل الكتاب الى هرمز ، أعلم كسرى مضمونه ، فجمع كسرى جيشا كثيفا ، (وكان هرمز هذا أسوأ أمراء الفرس خلقا ،

---

(١) لأخبار خالد رضي الله عنه في العراق ، راجع :

ــ الكامل في التاريخ : ج : ٢ ، ص : ٢٦١ ومابعدها .

ــ والطبري ، ج : ٣ ، ص : ٣٤٣ وما بعدها .

كان جوّارا على العرب ، فضربوه مثلا للخبث) • التقى جيش الايمان بقيادة خالد ، بجيش هرمز ، في مكان قرب موقع البصرة ، يقال له « كاظمة » ، فتزاحفا وفي مقدمة الجيشين سيف الله من جهة ، وهرمز من جهة ، فطلب سيف الله أن يبارز الخبيث ، فقد حان اليوم الذي سينصف فيه العرب من العجم ، فكفى هرمز ظلما وجورا ، وبرز الليث طالبا الشهادة ، ولكن ما هي الا لحظات حتى وقع هرمز مجندلا ، فلم يكن للفرس بعده ثبات فانهزموا ، فكانت بشائر الخير ، وبدأت بوادر النصر في هذه الجبهة ، كيف لا وفيها خيرة الصحابة ، الذين ينطق لسان حالهم دائماً ، وفي أول كل معركة : « غداً ألقى الاحبة ، محمداً وصحبه » •

ترى ما موقف كسرى بعد مقتل قائده المعتمد « هرمز » ؟ لقد سير كسرى جيشا تحت قيادة « قارن بن قريانس » ، فتوقف هذا الجيش في مكان شمال البصرة يدعى « المذار » ، لانه يخشى خالدا ، فسارع اليه خالد يطلبه ، فتقاتل الفريقان في حنق وحفيظة، ولم يطل الأمر ، فقد ركز خالد على قائد الجيش فقتله ، وقتل معه بحسب رواية الطبري ٣٠ ألفا ، مما زاد في غضب كسرى ، فسير جيشا آخر « فمملكته كثيفة السكان تسمح بهذا ! » ، وكان هذا الجيش بقيادة « الأندر زغر » ، ثم لحق به جيش آخر يقوده « بهمن جاذويه » ، وانضم اليه كثير من العرب المتنصرة • ولما علم خالد بمركز تجمعهم في « الولجة » ، سار اليهم تاركا وراءه حامية تحمي خط رجعته ، وقد رتب جيشه ثلاث فرق ، سار على رأس فرقة منه ، وكمنت فرقتان ، فلما اشتبك بالفرس خرجت الفرقتان

من مكمنهما ، وفاجأوا الفرس فانهزموا ، ومات قائدهم « زغر » من عطشه وهو هارب نحو الشمال ، وقتل في هذه المعركة خلق كثير من بكر بن وائل ، الذين أعانوا الفرس ، مما جعل النصارى يحنقون ويجتمعون مع الفرس في مكان يدعى « أليس » ، بقيادة « بهمن جاذويه » ، فسار اليهم خالد ، وأوقع بهم موقعة كبيرة ، ثم صالح أهل الحيرة ، وهي عاصمة العرب اللخميين ، ثم صالح أمراء المناطق على دفع الجزية ، مقابل حمايتهم من كل خطر •

ثم كتب خالد الى دهاقين الفرس ورؤسائهم كتابا جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد الى ملوك فارس ، أما بعد : فالحمد لله الذي حل نظامكم ، ووهّن كيدكم ، وفرّق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم لكان شراً لكم ، فادخلوا في أمرنا ندعكم في أرضكم ، ونجوزكم(١) الى غيركم ، والا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » •

كما كتب الى مرازبة الفرس ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم : من خالد بن الوليد الى مرازبة الفرس • أما بعد ، فأسلموا تسلموا ، والا فاعتقدوا مني الذمة ، وأدوا الجزية ، والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون شرب الخمر » •

استخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو ، وسار كي يغيث عياض بن غَنْم ، الذي يجاهد فاتحا في شمال العراق ، فوصل الانبار ، فصالحه أهلها ، فاستخلف عليها الزبرقان بن بدر ،

---

(١) نتخطاكم : نتجاوزكم ونخلفكم وراءنا •

وقصد عين تمر ففتحها ، فاذا برسـالة تصله من عياض بن غنم يستنجده فيها ، فاذا بعياض في دومة الجندل ، فأجابه خالدبهذا الكتاب :

« **من خالد الى عياض : اياك أريد** » ، وهو أقصر كتاب فيما نعرف ، ولما وصل خالد دومة الجندل ، وقد تجمعت بها طوائف من العرب المتنصرة ، قال زعيمهم واسمه أكيدر بن عبد الملك لشعبه : « أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمن طائرا منه ... ولا يرى وجه خالد قوم أبدا ، قلوا أو كثروا ، الا انهزموا عنـه ، فأطيعوني وصالحوا القوم » فلم يطيعوه ، فأراد الخروج من دومة الجندل ، فقتله قومه ، وكان ماحسبهُ أكيدر صحيحا ، فقد كان النصر بجانب خالد ، فأقام في دومة الجندل قليلا ، ثم عاد الى الحيرة ، لسماعه أن الفرس يتحركون لاعادة الكرة على المسلمين ، وفي « الفرائض »[1] اجتمع الفرس على خالد ، ومعهم روم وعرب، فانتصر عليهم، وكانت هذه الموقعة في منتصف ذي القعدة ، فأراد الرجوع الى الحيرة ، فأمّر عاصم بن عمر على الجيش ، وأظهر أنه يسير مع الجيش لتبقى معنوياته عالية ، لكنه سار من الفرائض حاجا مع بعض الصحابة ، وبعـد تمام حجه ، جاءه كتاب مـن الصديق يقول له فيـه :
« سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قـد شجوا وأشجوا واياك أن تعود لمثل ما فعلت فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ولن ينزع الشجى من الناس نزعك ، فليهنئك أبا سليمان النية ، والخطوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل واياك أن تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزاء .. »

---

(١) اسم مكان على الفرات الاوسط .

ونرى في نص الكتاب عتبا من الصديق على خالد ، لذهابه الى الحج وتركه الجند، فحياة الجند ومعنويات الجند أحق من حجه .

بقي خالد في العراق سنة وشهرين ــ من المحرم بدء السنة الثانية عشرة الى صفر من سنة ١٣ هـ ــ فحقق فيها ما لم يحققه قائد ، فقد فتح حوض الفرات ، وصدم الفرس والروم والعرب المتنصرة ، وكان اسمه يسبقه الى كل موقعة ، فلم يهــزم في أي معركــة خاضها ، ومما يذكر للفتح العربي الاســلامي بالفخــر والانسانية ، أنه لم يتعرض للفلاحين فيما بين النهرين بسوء ، بل كان يعاملهم بالرأفة ، ويحميهم من عدوهم ، حتى صاروا يفضلون حكم المسلمين ، على حكم الفرس الذين استعبدوهم وأذلوهم . وكيف لا يعامل الفاتحون شعبَ العراق بالحسنى ، وقد أوصى الصديق جنده بأن يحسنوا معاملة العرب المقيمين بالعراق ، والذين يعملون بالزراعة ، وأن لا يأخذوا من هؤلاء العرب الفلاحين أسرى ، كي تبقى الزراعة مزدهرة ، فالفاتحون سيبنون النفوس ، وسيعمرون الديار ، وهذه الصفات ، لا نجدها في فاتح آخر عبر التاريخ .

ومن حكمة خالد ، أنه كان ينهي معاركه بسرعة ، كي لا تزهق الارواح بكثرة ، فعند اجتماع الجيشين ، كان يرى أن الجند ينظر بعضهم الى بعض ، فيسرع الى الخروج طالبا رئيس القوم للمبارزة، وحتما كان في ذلك القضاء على الخصم ، واختصار نصف المعركة ، فلا يطول أمر الحرب بعده . والخلاصة : كانت هذه السنة التي كان فيها خالد في العراق ، غرة في جبين تاريخه .

* * *

المثنى قائد الجبهة بعد خالد

« أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانا قد فتحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقي السواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأنا عليهم ، ولنا ان شاء الله ما بعدها » .

(المثنى)

غادر خالد العراق الى الشام ، ليكون غوثا لجيوش الاسلام في اليرموك ، فأصبحت هذه الجبهة بحاجة الى قائد ، ان لم يكن مثله ، فليكن بحميته وشجاعته وفروسيته ، وليكن تلميذا بارا لخالد ، فاختار الصديق المثنى بن حارثة الشيباني[1] ، وأول اشتباك للمثنى بالفرس كان في بابل، عندما استقام أمر الفرس «لشهر براز»، فهزمه المثنى، وعاد الى الحيرة ، فاستخلف عليها بشير بن الخصاصية، ويمّم نحو المدينة ، ليخبر أبا بكر الصديق ، أن الفرس يحتشدون،

---

(١) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني ، أسلم سنة ٩ هـ ، وغزا بلاد الفرس في ايام أبي بكر ، فتناقل الناس أخباره ، فسأل أبو بكر : من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ فقال قيس بن عاصم : أما انه غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد ، ولا ذليل الغارة ، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم وفد على أبي بكر وأمّره على قومه ، وعاد يغير على سواد العراق (وهو أول من فعل ذلك من المسلمين) فأمده أبو بكر بخالد بن الوليد فكان بدء الفتح ، ولما ولي عمر أمده بجيش أبي عبيد الثقفي ، وبجيش سعد بن أبي وقاص ، وشهد المثنى عدة وقائع بعد شفائه من جرح معركة الجسر ، فانتقضت عليه جراحته ، فمات قبل وصول سعد اليه .

« الاعلام ، ج : ٦ ، ص : ١٥٨ » .

وأراد أن يطلب مددا ، فلما وصل الى المدينة ، وجد أبا بكر في أنفاسه الطاهرة الاخيرة ، فأخذ أبو بكر عمر جانبا وكلمه قائلا :

« استمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ، اني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب للناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ، وقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله ، وبالله لو أني عن غير أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ، وتعاقبنا ، فاضطرمت المدينة نارا ، وان فتح الله على أمراء الشام ، فاردد أصحاب خالد الى العراق ، فانهم أهله وولاة أمره وحده ، وأهل الضراوة بهم ، والجراءة عليهم » .

ومات الخليفة الاول رضي الله عنه وأرضاه ، وبعد أن دفنه عمر ، نَدَبَ الناسَ مع المثنى ، وقال عمر : كان أبو بكر قد علم أنه يسوءني أن أؤمّر خالدا على العراق ، حين أمرني بصرف أصحابه وترك ذكره . كان الناس يحجمون عن الخروج الى فارس، لما في أنفسهم من عظمتها وشوكتها القديمة ، وهنا يوضح عمر عظمة دولة الفرس ، فلم تكن هذه الدولة التي انتصر عليها المسلمون في شيخوختها كما يدعي بعضهم ، بل عظمة انتصار أجدادنا ، أنه انتصار على دولة قوية ، وهي كذلك بدلالة ما في نفوس الناس عنها من عظمة وتهيب ، ووقف المثنى فقال :

« أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانا قد فتحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقّي السواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأنا عليهم ، ولنا انْ شاء الله ما بعدها » .

فاجترأ الناس ... وسير عمر أول جيش بقيادة « أبي عبيد ابن مسعود الثقفي » الى العراق ، لدعم القوات هناك ، وأوصاه

بما يلي : « اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الامر ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين ولا يمنعني أن أؤمّر سَلِيطاً[1] الا سرعته الى الحرب ، وفي التسرع الى الحرب ضياع الاعراب ، فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث[2] » ، وأوصاه بجنده خيرا[3] .

وصل أبو عبيد العراق ، واشتبك مع الفرس في عدة معارك ، أشهرها موقعة السقاطية ، وموقعة الجالينوس ، أما أهم معاركه فهي : معركة الجسر .



(١) سليط بن قيس .

(٢) المكيث : المتاني والمتبصر في الامور ، الرزين لا يعجل .

(٣) الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٤٤٥ . ومروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣١٥ .

معركة الجسر

« لا يكونوا اجرا على الموت منا »
ابو عبيد

سأل رستم كبير الفرس وأعظم قوادهم ، أي العجم أشد على العرب ؟ قالوا : « بهمن جاذويه » ، فسيَّره ليقابل أبا عبيد . وفي هذه الاثناء ، رأت زوجة أبي عبيد « أم مختار » أن رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب ، فشرب أبو عبيد ومعه نفر من أصحابه ، فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : لهذه ان شاء الله الشهادة ، وعهد الى الناس وهو فرح بما سيكرمه الله به قائلا : ان قتلت فعلى الناس المثنى . وبعث بهمن جاذويه الى أبي عبيد : اما أن تعبر النهر « نهر الفرات » الينا وندعكم والعبور ، واما أن تدعونا نعبر اليكم، فنهاه الناس عن العبور ، ونهاه سليط أيضا ، فلجّ وترك الرأي ، ونسي وصية عمر له ، عمر الذي خبر الرجال ، حذّره من نقطة حسب حسابها ، وعمر انتقى أبا عبيد قائدا ، لانه أول من تقدم لحرب الفرس في المدينة المنورة ، ولم يتهيب هذه الجبهة كما تهيبها غيره . قال أبو عبيد : لا يكونوا أجرأ على الموت منا[1] ، فعبر اليهم على جسر عقده « ابن صلوبا » للفريقين ، فضاقت الارض بأهلها ، واقتتلوا وكان مع الفرس فيلة ، فلما رأتها خيل المسلمين جفلت ولم تتقدم نحوها ، أما الفيلة فانها تقدمت وفرقت الخيل ،

---

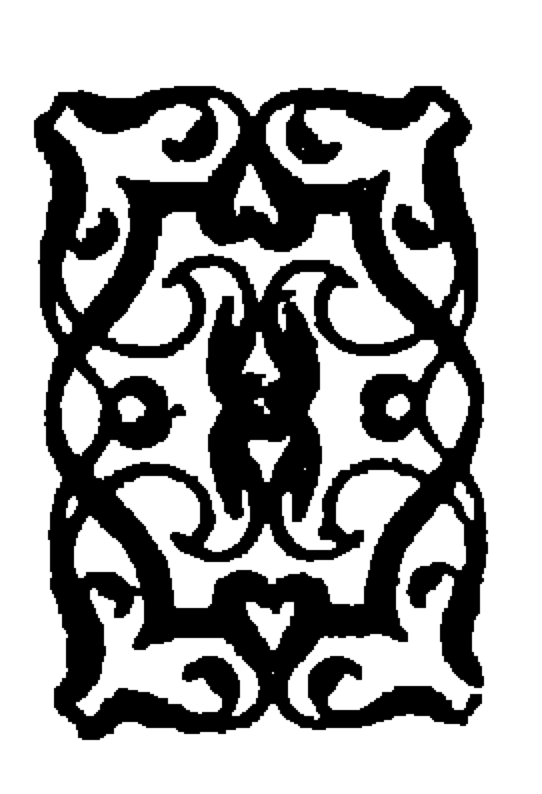
(١) الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٤٥٤ . ومروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣١٦ .

ورمى من عليها بالنشاب ، فاشتد الامر بالمسلمين ، فترجل أبو عبيد والناس ، ثم مشوا الى الفرس ، حتى صافحوهم بالسيوف ، ولكن الفيلة ما حملت على جماعة الا دفعتهم ، فقال أبو عبيد : اقطعوا بطائن الفيلة ، واقلبوا عنها أهلها ، ووثب هو على فيل أبيض فقطع بطاته ، فوقع الذين عليه ، وفعل القومُ مثل ذلك ، فما تركوا فيلا الا حطوا رحله ، وقتلوا أصحابه ، وأهوى فيل على أبي عبيد ، فضربه بالسيف ، لكن الفيل ضربه بيده ، فوقع أبو عبيد ، فوطئه الفيل ، وقام عليــه ، فلما بصر بــه الناس تحت الفيل ، خشعت أنفسهم ، ثم تقدم اللواء الذي أمّره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد ، وقتل الفيل ، وتتابع على أخذ اللواء سبعة أنفس من ثقيف فقاتلوا حتى الشهادة ، فأخذ اللواء المثنى فهرب عنــه الناس ، فلما رأى عبــد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيــد وخلفاؤه ، وما يصنع النــاس بادرهم الى الجسر فقطعــه ، كي لا يتراجع أحد الى جانب النهر الآخر وقال : يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا ، وحصر الفرسُ المسلمين الى الجسر وقــد انقطع ، فتواثب بعضهم الى الفرات ، فغرق من لم يصبر ، وأسرعوا فيمن صبر ، وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال[1] :

ــ أنا دونكم فاعبروا على هينتكم، ولا تدهشوا فانا لا نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم . ونادى المثنى

(١) الكامل في التاريخ ، جـ : ٢ ، ص : ٣٠٢ . والطبري ، جـ : ٣ ، ص : ٤٥٧. والبداية والنهاية ، جـ : ٦ ، ص : ٣٤٢ .

من عبر النهر فنجا ، فجاء « العلوج »[1] فعقدوا الجسر ، وعبر الناس ، وكان آخر من عبر الجسر سليط بن قيس ، وجرح المثنى في هذه المعركة ، التي خسر فيها المسلمون يومئذ أربعة آلاف ، ولم يبق مع المثنى الا ثلاثة آلاف ، وقتل من الفرس في هذه المعركة ستة آلاف ، لكن المعركة كانت خسارة كبرى للمسلمين ، وبخاصة بعد قطع عبد الله بن مرثد الجسر .



---

(١) العلوج هنا : سادة وأمراء القوم .

وقعة البويب

✶ « عاداتكم في امثالهم ، انصروا الله ينصركم »

المثنى

ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبر أبي عبيد بالجسر ، ندب الناس الى المثنى ، فما جاءه أحد الا رمى به الى المثنى ، وبعث المثنى الى من يليه من العرب ، فتوافدوا اليه في جمع عظيم ، واجتمع المسلمون عند البويب ، وهو نهر صغير قرب الكوفة ، وجاء المثنى جيش من الفرس كثيف بقيادة « مهران » ، فقال للمثنى : اما ان تعبر الينا ، واما ان نعبر اليك ، فقال المثنى : اعبروا ، فعبر مهران ، فنزل على شاطىء الفرات ، وعبّأ المثنى أصحابه ، وكان ذلك في رمضان ، وأمرهم بالافطار ليقووا على عدوهم فأفطروا ، وكان على مجنبتي المثنى بشير بن الخصاصية ، وبُسر بن أبي رهم ، فأقبل الفرس في ثلاثة صفوف ، مع كل صف فيل ، ولهم دوي شديد ، فقال المثنى : الزموا الصمت وتكلموا همساً ، فدنا الفرس من المسلمين ، وطاف المثنى في صفوفه ، يعهد اليهم وهو على فرسه الشموس ، فوقف على الرايات راية راية • يحرضهم ويهزهم ويقول لهم : والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء الا وهو يسرني لعامتكم فيجيبونه بمثل ذلك وأنصفهم من نفسه في القول والفعل ، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولا ، ولا فعلا ، فنعم القائد ونعم الجند ، رضي الله عن القائد ، فهو مثال الخلق والإيمان ، ورضي الله عن الجند ،

فهم مثال الايمان والطاعة ، ثم قال المثنى : إني مكبّر ثلاثا فتهيأوا ثم احملوا في الرابعة •

وبدأ القتال ، فرأى المثنى خللا في بني عجل ، فجعل يمد لحيته باتجاههم لما يرى منهم ، وأرسل اليهم يقول : الامير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا نعم ، واعتدلوا ، فضحك المثنى فرحا ، وطال القتال ، فتقدم غلام تغلبي نصراني نحو « المرزبان » فقتله ، واشتد القتال ، وتدافع الجمع ، وصار المثنى يشجع في وسط المسلمين ويقول : عاداتكم في أمثالهم، انصروا الله ينصركم ، ومازالوا حتى هزموا الفرس ، فسبقهم المثنى الى الجسر فقطعه ، فتفرق الفرس فلحقت بهم خيل المسلمين ، وسمي هذا اليوم « يوم الأعشار » ، فقد أحصي مائة رجل مسلم ، قتل كل رجل منهم عشرة من الفرس ، وسمي بعض المجاهدين بأصحاب التسعة ، أما الغنائم ، فقد أرسلت الى أسر المجاهدين في المدينة المنورة •

وأصبح السواد[1] الآن مفتوحا أمام المثنى ، فاستطاع الوصول الى تكريت ، ولما رأى أهل فارس ما يحل بهم ، من انهزام يتلوه انهزام أمام المسلمين ، استنجدوا بمدد جديد من يزدجرد ملكهم ، وكان آنئذ شابا في الواحدة والعشرين من عمره ، اجتمعوا عليه واستوثقوا به ، وتباروا في طاعته ومعونته •

---

(١) ارض « السواد » : هي الاراضي الواقعة بين الدجلة والفرات جنوب المدائن « او بغداد حاليا » ، أما مابين الدجلة والفرات شمال المدائن ، فهي أرض « الجزيرة »• والسواد مع الجزيرة ، هي أراضي مابين النهرين •

قبيل القادسية

✶ عمر لسعد : « لا يغرنك من الله ان قيل : خال رسول الله ﷺ . فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب ، الا طاعته ..»

المسلمون قبيل المعركة :

جمع يزدجرد طاقاته ليبثها في كل ثغر ، فبلغ ذلك المثنى فكتب الى عمر رضي الله عنه يخبره بضخامة الحشود ، وتراجع المثنى الى ذي قار تاركا السواد ؛ فلما وصلت الرسالة الى عمر قال : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، وأعلن ما يسمى في عصرنا النفير العام ، أو التعبئة العامة ، فلم يدع رئيسا ، ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ، ولا خطيبا ولا شاعرا ، الا أرسله الى العراق ؛ وكتب عمر الى المثنى بالخروج من بين الفرس ، والتفرق في المياه التي تلي العجم على حدود أرضكم وأرضهم ، وأن لا تدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحدا من أهل النجدات ، ولا فارسا ، الا أحضرتموه ، احملوا العرب على الجد اذا جد العجم ، فلتلقوا جدهم بجدكم . وأرسل عمر الى الحج يحث بعض عماله ، أن لا يدعوا من له نجدة ، أو فرس ، أو سلاح ، أو رأي ، الا وجهوه اليه ، من كان أقرب الى المدينة ، فليأتي اليها ، ومن هو أقرب الى العراق ، فليلحق المثنى ، أليس هذا هو النفير العام ؟..

اجتمع الناس في المدينة المنورة فخرج عمر معهم الى مـاء يدعى « صرار » ، على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة ، على طريق العراق ، فعسكر به ، ولا يدري الناس ما سيفعل عمـر ، أيسير أم يقيم ؟! وكانوا اذا أرادوا أن يسألوه ، لم يجرؤوا مهابة واحتراما ، فكانوا يسألونه عن طريق عثمان ، أو عن طريق عبـد الرحمن بن عوف ، فان لم يقدر هذان على علم شيء مما يريد ، ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب. ترى أيخرج عمر أم يبقى ؟! وأرسل الى علي أن يحضر من المدينة المنورة ، حيث كان استخلفه قبل أن يخرج ، فاستشاره ، واستشار الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، فقرروا أن يبعث على رأس الجيش رجلا من أصحـاب رسول الله ﷺ ، ويقيم هو ولا يخرج ، حفاظا على سلامة الدولة بشخص عمر ، فرضي برأي الشورى ، اذ كان في الامور الجليلة ، لا يقطع أمرا دون رأي صحابة رسول الله .

فلما استشار عمر الناس ، قال عبد الرحمن بن عوف : « فما فديتُ أحدا بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذ ولا بعده ؛ فقلت : بأبي وأمي اجعل عجزها بي ، وأقم وابعث جندا ، فقـد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد ، فان يهزم جيشك ليس كهزيمتك ، وانك ان تقتل أو تهـزم في أنف الامر ، خشيت ألا يكبّر المسلمون ، وألا يشهدوا بأن لا اله الا الله أبدا[1] » .

جمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير

---

(١) الطبري ، جـ : ٣ ، ص : ٤٨١ .

حتى صرفني ذوو الـرأي منكم ، وقـد رأيت أن أقيـم وأبعث رجلا فأشيروا علي برجل » . فأخـذ النـاس يشيرون ، وهـو لا يرضى بمن يقولون ، وفي هـذه الاثنـاء ، وصل كتـاب الى عمر مـن سعد ، حيث كان يجمع لعمـر أهل الرأي والنجـدة والسـلاح مـن هوازن ، وكـان في كتـاب سـعد : « قـد انتخبت لك ألف فارس ، كلهم لـه نجـدة ورأي وصـاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنـع ذمارهم »[1] فقالوا لعمـر : **اليك الاسد في براثنه[2] ، سعد بن أبي وقاص ، انه الاسد عادياً ،** فأحضره وأقرّه على جيش العـراق ، وأوصاه الخبير بالرجال ، المؤمـن بأن النصـر مـن عنـد الله ، قال عمـر لسـعد :

« لا يغرنك من الله ان قيل : خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب، الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الامر الـذي رأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يلزمـه فالزمـه »

وأوصاه بالصبر . أمـا وصية عمر الى الجند : عنـدما شيعهم ، فهي وصية مشتملة على حكم ومواعظ ونصائح من قائد عظيم ، يريد نفع أمتـه ، واصـلاح حال العـالم أجمع ، وهذا نصها :

« ان الله تعالى انما ضرب لكم الامثال وصرف لكم القول ليحيي بـه القلوب ، فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئا فلينتفع به ، وان للعدل أمارات وتباشير . فأما الامارات : فالحياء والسخاء والهين واللين ، وأما التباشير فالرحمة ، وقد جعل الله لكل

---

(١) الذمار : كل ما يحامى عنه .

(٢) هذا القول قاله لعمر عبد الرحمن بن عوف وملأه اولو الرأي .

أمر بابا ، ويسر لكل باب مفتاحا . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت ، بتذكر الاموات ، والاستعداد له بتقديم الاعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله الحق ، وتأدية الحق الى كل أحد له حق ، ولا تصانع في ذلك أحدا ، واكتف بما يكفيه من الكفاف فان لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء ، اني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وان الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه ، فأنهوا شكاتكم الينا ، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها ، نأخذ له الحق غير متعتع ».

وكانت هذه الوصية من القائد العام الى جنده في (الأعوص)[1] ، بعد أن سار معهم من « صرار » . وأمر سعد بالسير ومعه أربعة آلاف ، وعينا عمر ترقب هذا الجمع المبارك ، ويهفو قلبه اليه ، ولكن في الحقيقة ، ان قلب عمر لم يكن بين جنباته ، بل سيكون معهم هناك في القادسية ، وسيمر معنا اثبات ذلك .

ثم أمده عمر بألفي يماني ، وألفي نَجْدي ، وكان مع المثنى ثمانية آلاف ، ولكن فارس بني شيبان « المثنى » لحق بالرفيق الاعلى قبل أن يمتع عينيه بسعد ، مات متأثرا بجراحه التي أصيب بها يوم الجسر ، والتي انتقضت عليه[2] ، فخسر جيش الاسلام فارسا من فرسانه ، فارسا طاب للخيل أن يكون فوقها ، ولكن لم يبن الاسلام فردا ، بل بنى أمة ، وبرهنوا كلهم أنه ان مات المثنى، فحميته في قلوبهم ، وشجاعته في نفوسهم ، وايمانه في أرواحهم . مات البطل مستخلفا على الناس بشير بن الخصاصية .

---

(١) اسم موضع قرب المدينة المنورة .

(٢) مروج الذهب ، جـ : ٢ ، ص : ٣٢٠ .

وصل سعد ، وتتابعت الامدادات ، حتى صار معه ثلاثون ألفا من المجاهدين المؤمنين • فنظم الجيش ، وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم ، وهو صحابي ، واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي ، وهو شاب يافع ، قاتل أهل الردة ، وجعل خليفته اذا استشهد خالد بن عرفُطة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمي على الساقة ، وسواد بن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة ، وعلى الرجّالة حمّال بن مالك الاسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمين الحنفي[1]، وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسي والكاتب زياد بن أبيه ؛ وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي •

ثم جاء الفارس أخو الفارس ، جاء المُعنَّى بن حارثة الشيباني الى سعد وأخبره بوصية المثنى وهي : **أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب ، ولا يقاتلوهم بعقر دارهم ، فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ، الى أن يرد الله الكرة عليهم ،** فترحم سعد ومن معه على المثنى : وجعل المعنّى على أعماله كلها ، وأوصى بأهل بيته خيرا •

رحم الله المثنى ، لقد نصح أهله حيا وميتا ، دافع عن أمته وعقيدته حيا ، وحسب حسابها ميتا ، خطط للنصر حيا ، وخطط له في وصيته ، وهكذا تكون الرجال والا فلا •

---

(١) وفي الطبري : الخثعمي ، وهو الاصح •

وجاء رأي المثنى كرأي عمر رضي الله عنه ، اذ أرسل الى سعد كتابا جاء فيه : « أما بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله ، واستعن به على أمرك كله ، واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة ، عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع ، وان كان سهلا كؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه[1] ، الا أن توافقوا غيضا من فيض ، واذا لقيتم القوم أو أحدا منهم ، فابدؤهم الشد والضرب ، واياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعنكم فانهم خدَعة مكرة ، أمرهم غير أمركم ، الا أن تجادّوهم[2] ، واذا انتهيت الى القادسية ــ والقادسية باب فارس في الجاهلية ــ وهي أجمع تلك الابواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الآصُل ، وهي منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك[3] على أنقابها[4] ، ويكون الناس بين الحجَر والمدَر[5] ، على حافات الحجر وحافات المدر والجراع[6] بينهما ، ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك أنغضتهم[7] ورموْك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم

---

(١) دأدأ : أسرع ، عدا أشد العدو .

(٢) جادة في الامر : خاصمه .

(٣) جمع مسلح ومسلحة : موضع السلاح ، كل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة .

(٤) جمع النقب : الخرق في الجلد أو الجدار او نحوها .

(٥) المدر : الطين اللزج المتماسك والقطعة منه مدرة ، وأهل المدر : سكان البيوت المبنية بخلاف البدو سكان الخيام ، والحجر : هو الحجر المعروف .

(٦) جمع جرعة من الماء ونحوه « وهو هنا الماء » .

(٧) أحس الشيء ، علم به ، ادرك باحدى الحواس ، أنغض : نغض برأسه : حركه كالمتعجب من شيء ، ويقال : نغضوا الى العدو : نهضوا . وهو المراد هنا .

وحدّهم وجدّهم ، فان أنتم صبرتم لعدوّكم ، واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الامانـة ، رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا الا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم ، وان تكـن الاخرى كان الحجر في أدباركم ، فانصرفتم من أدنى مدرة مـن أرضهم ، الى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرأ وبهـا أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويرد لكم الكرة » .

ثم كتب عمر اليه أيضا ــ فهو على صلة دائمة مع الجبهة ــ فقال له : « أما بعد ، فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظـة والنيـة والحسبة ، ومن غفل فليحدثهما ، والصبر الصبر ، فان المعونة تأتي من الله على قدر النية ، والاجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافيـة ، وأكثروا من قول : « لا حول ولا قـوة الا بالله » . واكتب اليّ أين بلغك جمعهـم ، ومـن رأسـهم الـذي يلي مصادمتكم ، فانه قـد منعني من بعض ما أردت الكتاب بـه قلة علمي بما هجمتم عليـه ، والذي استقر عليـه أمر عدوكم ، **فصف لنـا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها** واجعلني من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجُه ولا تُدلِّ[1] بشيء ، واعلم أن الله قد وعدكم ، وتوكّل لهـذا الامر بما لا خُلف له ، فاحـذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم

(١) (أدل) عليه : وثق بمحبته فافرط عليه ، اجترأ عليه ، أدل الرجل على اقرانه : اخذهم على غرة . (وهذا حسب تشكيل الطبري) .

غيركم »[1] .

اذن من القائد والموجّه الحقيقي لهذه المعركة الفاصلة ؟ انه دون شك عمر رضي الله عنه ، كأنه في غرفة عمليـــات ، ومخطط ميدان المعركة ، وأماكن تحشدات الجند أمامه ، وسعد هنـــاك ينفذ ما خطط هذا العبقري ، الذي لو كان بعد محمد رسول الله ﷺ نبي لكان هو ، خاصة بعد أن أرسل سعد اليـــه مخطط المنطقة . فقال سعد : « ان القادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما عن يسار القادسية بحر أخضر ، في جوف لاح[2] الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض ، يطلع بمن سلكه على ماء بين الخورنق والحيرة ، وأما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم ، وان جميع من صالح المسلمين مـــن أهل السواد قبلي ألب[3] لأهل فارس ، قد خفّوا لهم ، واستعدوا لنا ، وان الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم ، فهم يحاولون انغاضنا واقحامنا ، ونحن نحاول انغاضهم وابرازهم ، وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلّم الى ما قدّر لنا وعلينـــا ، فنسأل الله خير القضـــاء في عافية » .

---

(١) للاطلاع على هذه المراسلات ، راجع :
ـ الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٤٨٠ ، وما بعدها .
ـ الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٣٠٩ ومابعدها .
ـ البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٣٧ وما بعدها .
ـ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ٢ ، ص : ٩١ وما بعدها .

(٢) لاح : لحا الشجرة قشرها وهنا لعله يعني جوف لا نبات فيه .

(٣) ألب : يقعون على عهد فارس .

فرد عليه عمر الذي كان على اتصال دائم مع جو المعركة : **« قد جاء الي كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها ، فان منحك الله أدبارهم ، فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن ، فانه خرابها ان شاء الله »** • وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ، ويدعو للمسلمين عامة ، وبهذا أوضح استثمار النصر الى أبعد حدود ، لعدم تمكين العدو من تجميع فلوله •

وعلى الرغم من وجود تسعة وتسعين بدريا[1] ، وثلثمائة وبضعة عشر ممن كان له صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى ما فوق ذلك ، وثلثمائة ممن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ، الا أن هيبة دولة الفرس وسؤددها أخاف الجيش ، فعلم عمر ذلك وهو الطبيب الروحاني النفساني لمثل هذه المشكلة ، فكتب الى الجيش كلمات صادقة يقينية ، جعلت جيش الاسلام يتأكد من نصر الله له ، فاضمحل الخوف وجاء الاستبشار ممن قال عنه رسول الله ﷺ : ان كان في أمتي محدثون فمنهم عمر ، فالجيش كله يعرف من عمر • ماذا قال هذا الرجل لجيشه في جبهة القتال ؟ لقد قال : **((اني ألقي في روعي أنكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم))** ، وفي هذه الاثناء ، عادت فرقة من الفرسان ، استطلعت ورجعت غانمة ، فكبّر المسلمون تكبيرة شديدة ، فقال سعد : **((أقسم بالله لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز))** •

ويتضح من هذين القولين ، قدرة عمر وسعد على التوجيه المعنوي للجند ، حيث أوحوا اليهم أن جيش الاسلام لا يقهر ، وهذا

---

(١) وفي الطبري بضعة وسبعون بدريا •

الاسلوب اتبعه كبار القواد في الحربين العالميتين الاولى والثانية في عصرنا الحديث ، فمما يذكر في الحرب العالمية الثانية ، أن سفينة المانية اسمها « بسمارك » ، أصيبت بعد حصار في عرض البحر وبدأت تغرق ، ومع ذلك كان يقول القائد : ان هذه الباخرة لن تغرق لانها المانية ، وشعب المانيا لا يغلب .

فلأي الامم كان السبق في انشاء جيل بمثل هـذه الروح المعنوية العالية ؟

الفرس في القادسية

كل ما سبق كان استعداد المسلمين ماديا وروحيا . أما الطرف الآخر ، طرف الأعاجم ، فقد أرسل يزدجرد الى رستم فدخل عليه فقال : اني أريد أن أوجهك في هذا الوجه ، وانما يعد للامور على قدرها ، فأنت رجل فارس اليوم ، وقد رأيت ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله . فقال رستم : دعني فان العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضربهم بي ، ولعل الدولة أن تثبت بي اذا لم أحضر الحرب ، فيكون الله قد كفى ، ونكون قد أصبنا المكيدة ، والرأي في الحرب أنفع من بعض الظفر ، والأناة خير من العجلة ، وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا ، فأبى يزدجرد الا أن يكلفه بامرة الجيش ، فأعاد رستم كلامه وقال : اني لا أزال مرجواً في أهل فارس ما لم أهزم ، فأبى يزدجرد الا أن يسير ، فخرج رستم بعسكر كبير الى « ساباط » وأرسل الى الملك من هناك ليعفيه كمحاولة أخيرة ، فأبى يزدجرد .

* * *

علم سعد بقدوم رستم ، فكتب الى عمر بذلك ، فكتب عمر اليه : « لا يكربنك ما يأتينك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، ابعث اليه رجالا من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم » .

أرسل سعد نفراً عليهم مهابة في أجسامهم ، ونور في وجوههم ، ولهم آراء ولهم اجتهاد وذلك تنفيذاً لأمر عمر ، ومنهم: النعمان بن مقرّن المزني[1] ، وبُسر بن أبي رهم ، والمغيرة بن شعبة، والمغيرة بن زرارة ، والمعنّى بن حارثة الشيباني ... وغيرهم ، سار هؤلاء الدعاة الى يزدجرد في المدائن ، فأحضر يزدجرد رستم قائده لاستقبال هذا الوفد الفريد من نوعه ، واستشار يزدجرد رستم ماذا يفعل بهؤلاء ؟ وماذا يقول لهم ؟ واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صُهال[2] وعليهم البرود وبأيديهم السياط . أليست هذه من عبقرية عمر ؛ فقد رفع معنويات جنده ، وأدخل الرعب في نفوس يزدجرد ووزرائه ؟ ألم يدهش شعب الفرس بهذا الوفد ؟ أليست هذه من أفضل سبل التوجيه المعنوي ؟ رفع معنويات جنده ، وأحبط همم ومعنويات جند العدو . ورضي الله عن سعد ، فقد عرف كيف ينتقي الوفد ، وأرضى الله عمر ، فقد كان في هذه الامور خبيرا ، يكفينا القول : **انه عمر !!**

ثم أذن لهم يزدجرد فدخلوا ، وحضر الترجمان ، وقال له :

(١) ترجمته وافية في الجزء الثالث من هذه السلسلة ، فهو قائد فتح الفتوح « نهاوند » .

(٢) اي انها تصهل في عز فكانما تعكس عزة راكبيها .

سلهم ما جاء بكم ، وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرّن المزني لاصحابه : « ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته » . ما هذا الادب ؟! انه أدب الصحبة التي تربوا بها عند رسول الله ، فقالوا جميعا : « بل تكلم » فقال :

« ان الله رحمنا ، فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير ، وينهانا عن الشر ، ووعدنا على اجابته خيري الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة ، وتباعد عنه بها فرقة ، ثم أمر أن نبتدىء الى من خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين ، مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعا فضل ماجاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبتدىء بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن ، وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية ؛ فان أبيتم فالمناجزة ؛ فان أجبتم الى ديننا ، خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم »[1] .

فتكلم يزدجرد فقال :

« اني لا أعلم في الارض أمة كانت أشقى ، ولا أقل عددا ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل لكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم ، ولا تغزوكم فارس ، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس ، فان كان غرور لحقكم ، فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد

---

(١) مصدر هذه المقابلات تجده في المراجع التالية :

ـ الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٤٧٧ وما بعدها .

ـ الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٣١٥ ومابعدها .

ـ البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٣٥ وما بعدها .

ـ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ٢ ، ص : ٩١ وما بعدها .

دعاكم ، فرضنا لكم قوتاً الى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملّكنا عليكم ملكا يرفق بكم » . فأسكت القوم ، فقال المغيرة بن زرارة أحد أعضاء الوفد المسلم :

« أيها الملك ، ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الاشراف ، وانما يكرم الاشراف الاشراف ، ويعظّم حقوق الاشراف الاشراف ، ويفخّم الاشراف الاشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسُن بمثلهم الا ذلك ، فجاوبني لأكون الذي أبلّغك ، ويشهدون على ذلك ، انك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجِعلان والعقارب والحيّات ، فنرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فانما هي ظهر الارض ، ولا نلبس الا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ، ويغير بعضنا على بعض ، وان كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله الينا رجلا معروفا ، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولِده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا الى أمر فلم يجبه أحد أوّل من ترْبٍ (١)

---

(١) يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه .

كان له وكان الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئا الا كان ، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا : ان ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت اذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك الا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، والي يصير كل شيء ، وان رحمتي أدركتكم فبعثت اليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحلكم داري ، دار السلام • فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ماعليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه ، فاختر ان شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وان شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك ، فقال : أتستقبلني بمثل هذا !؟

فقال ابن زرارة : ما استقبلت الا من كلمني ، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به ، فقال يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ارجعوا الى صاحبكم فأعلموه أني مرسل اليه رستم ، حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ، وينكل به وبكم ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابق • وقال يزدجرد لرستم ، وهو منزعج من حديث

المغيرة بن زرارة : « ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء ، ما أنتم بأحسن جوابا منهم » •

نسي يزدجرد أن محمداً غيّر النفوس ، وقلبها الى حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ، وجعل منهم أسودا •

ثم أطرق يزدجرد مفكراً بهذا الوفد الغريب وقال : لقد صدقني القوم ، لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه • وخرج رستم كئيبا وهو المنجم الكبير ، وبعث في أثر الوفد وقال لثقته : ان أدركهم الرسول تلافينا أرضنا ، وان أعجزوه سلبكم الله أرضكم ، فرجع رسوله من الحيرة بفواتهم فقال رستم : ذهب القوم بأرضكم من غير شك • ووصل الوفد الى سعد فقال عاصم : بشّروا الامير بالظفر ، ظفرنا ان شاء الله ، وقال سعد : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم •

سار رستم ، وفي مقدمته أحد قواده واسمه « الجالينوس » في أربعين ألفا ، وخرج هو في ستين ألفا ، وفي ساقته عشرون ألفا ، وجعل في ميمنته الهرمزان ، وعلى الميسرة « مهران بن بهرام » ، وقال رستم ليزدجرد وهو يودعه بكلمات مجاملة وتشجيع : ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم في دارهم ، حتى نشغلهم عن أصلهم وبلادهم الى أن يقبلوا المسالمة • وهكذا تجمع لرستم « ١٢٠ » ألفا قبيل القادسية •

ومن استعدادات الفرس ، أرسل رستم الى أخيه «البندوان»:

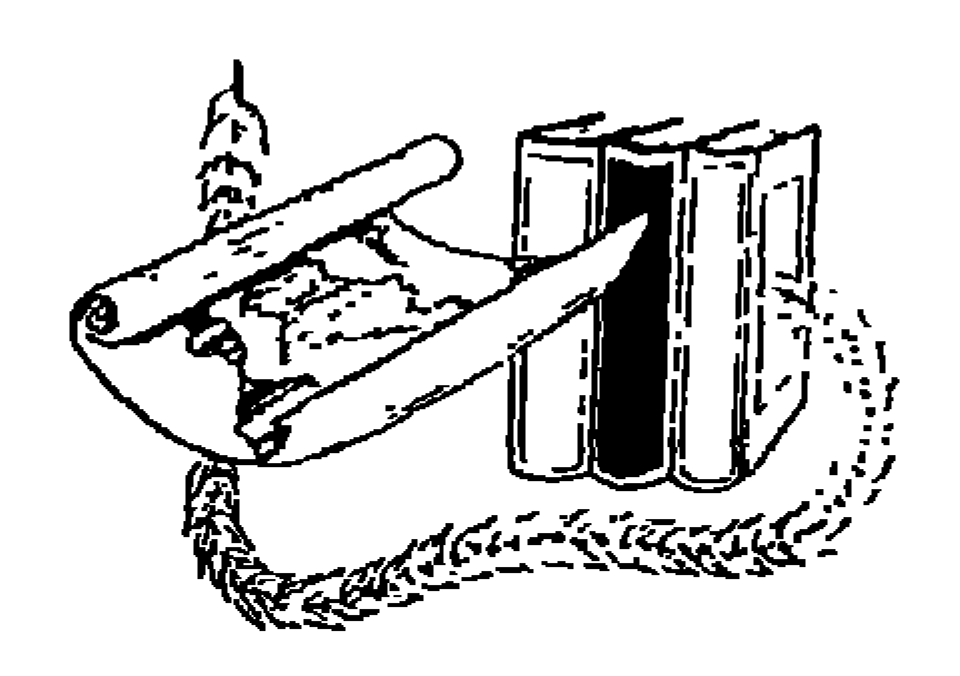
أما بعد فرمّوا حصونكم ، وأعدوا واستعدوا ، فكأنكم بالعرب وقد وردوا بلادكم وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، ولا أرى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ، ويستولون على ما إلينا ، وأن أشد ما رأيت • أن الملك قال : لتسيرن اليهم أو لأسيرن بنفسي •

ورأى رستم مسلما فقال له : ما جاء بكم وماذا تطلبون ؟ فقال جئنا نطلب موعود الله بسلك أرضكم وأبنائكم ، ان أبيتم أن تسلموا ، فقال رستم : فان قتلتم قبل ذلك ؟ قال : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقي منا أنجزه الله ما وعده ، فنحن على يقين • فقال رستم : قد وضعنا اذن في أيديكم ! فقال : أعمالكم وضعتكم ، فاسلمكم الله بها ، فلا يغرنك من ترى حولك ، فانك لست تجادل الانس ، إنما تجادل القضاء والقدر ، فاستشاط رستم غضبا فأمر به ، فغدر به ، فضربت عنقه ، وهذه دناءة دون شك ، حيث لم يتعرض الاعرابي لرستم ، بل كان رستم البادىء بالكلام وهو السائل •

سار رستم الى قرب الحيرة الى قرية اسمها « البرس » فأساء الجيش لاهاليها بزناهم وخمرهم وفاحشتهم ، فضج الاهالي ، فقام رستم وقال : يا معشر الفرس ، والله لقد صدق العربي ، والله ما أسلمنا الا أعمالنا ، والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب ، أحسن سيرة منكم ، ان الله كان ينصركم على العدو ، ويمكن لكم في البلاد ، بحسن السيرة ، وكف الظلم ، والوفاء بالعهود ، والاحسان ، فاذا تغيرتم ، فلا أرى الله الا مغيّرا ما بكم ، وما أنا

بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم • وجلب رستم بعض من شكي منه فضرب عنقه ، « ومثل هذا لا يحدث في جيش الاسلام » ، فهو جيش « بشهادة رستم » مع أعدائه أثناء الحرب . أحسن سيرة من الفرس أثناء السلم مع أبناء جلدتهم •

ثم سار رستم حتى وصل الحيرة ، ثم النجف . فرأى في نومه كأن ملكا نزل من السماء ، ومعه النبي وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ، ثم دفعه الى النبي ، فدفعه النبي الى عمر ، فأصبح رستم حزينا ، فعلم علم تفسير الرؤيا ونذرها ، وهذا كله تخطيط الهي ، وتوفيق من الله لنصرة جيش الحق ، وتحطيم معنويات جيش فارس •



بطولات قبل المعركة

✶ نماذج من فوارس الأمة العربية بعد ان صقلها الاسلام ·

بينما كان رستم في النجف ، دخل المعسكر «طليحةالاسدي»، وبات في معسكر رستم ، يجوسه ويتوسم ما فيه[1] ، فشعروا به ، فخرج يحطم عليهم أعمدة خيامهم ، وأخذ أمامه فرسا ، فركبوا في طلبه ، فأصبح وقد لحق به فارس فارسي ، فقتله طليحة ، ثم لحق به فارس آخر ، فقتله طليحة ، ثم لحق بـه ثالث ، فرأى مصرع صاحبيه فازداد حنقا ، فلحق بطليحة ، فكرّ عليه طليحة وأسره ، ثم دخل هذا الفدائي المغوار ومعه أسيره على سعد ، فطلب الاسير عن طريق الترجمان الامان ، فأمّنه سعد ، وطلب منه أخبار الفرس، فقال الاسير :

ــ أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلي ، باشرت الحروب وغشيتها منـذ أنا غـلام الى الآن ، وسمعت بالابطال ولقيتها ، ولم أسمع بمثل هـذا « يعني طليحـة » ، يدخـل المعسـكر بمفـرده ، والجنـد آلاف ، ثـم طلبنـاه **فلما أدركناه قتل الاول ، وهو يعد بألف فارس ، ثم الثاني وهو نظيره، ثم أدركته أنا ولا أظن خلفت من بعدي من يعدلني ،** أنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت واستؤسرت ·

---

(١) الفدائيون « الكوماندس » في امتنا منذ نشوئها ، وليس ظهورهم حديثا ·

الله أكبر ... الله أكبر ما أبدع هذه الشهادة ، فوارس الامة العربيــة بعــد أن صقلها الاســلام بألف فارس أصبح فارسها الواحد . فأين أنتم يا عربُ من تربية رسول الله؟ يكفينا شهادة بأبطالنا ، هــذه الشهادة لا من غر ، بل من خبير بالحروب وهو غلام ، وخبير بها وهو شاب ، لهف نفسي على أمتي متى سيرجع فارسها بألف ؟

ثم أخبر هذا الاسير سعداً عن أحوال الفرس ، وأنهم مائــة وعشرون ألفا ، وأتباعهم مثلهم خدام لهم ، وأسلم هــذا الاسير ، ولزم من سبقه في ميدانه ، فعلم أن قوته ليست قوة الجسد ، بل هي اليقين وقوة الايمان التي في قلب طليحــة ، فأسماه ســعد « مسلماً » ، فحسن اسلامه ، وكان من أبطال الاسلام في القادسية ، يحارب بجانب طليحة . أسلم هذا لما رأى من أمان عنــد جيش المسلمين ، وحسن معاملة سعد ، فاطلع على حياة جيش لم يره من قبل ؛ رأى جيشا اذا وقف في الصــلاة استوت صفوفه بقيــادة الامير . فان قال الامير : الله أكبر ، ردد الجميع وبلسان واحد ، وبحركة واحدة ، الله اكبر ؛ ويركعون ويسجدون . ان هذا لهو النظام ؛ وانها الالفة والمحبة بين الجماعة ؛ مع الصلة بالله سبحانه وتعالى .

ـ وصل رستم القادسية ومعه سبعون فيلا ؛ فلما أصبح ركب وسار حتى وصل مكانا مرتفعا ، فتأمل جيش المسلمين ، تأمل الاشبال والاسود ، فنادى الى بطل كان قــد سمع به وهــو « زُهرة بن الحويّة » .

* * *

عِزّةُ النَّفسِ أمامَ الأعداءِ

★ « نحن خير الناس للناس .. انا لم ناتكم بطلب الدنيا : انما طلبتنا وهمتنا الآخرة »

ذهب زهرة بن الحوية الى رستم ، فقال رستم : انصرف وقومك ولكم منا جُعلا[1] ، كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ، فقال له زهرة : انا لم نأتكم بطلب الدنيا ، انما طلبتنا وهمتنا الآخرة ، وقد كنا كما ذكرت ، الى أن بعث الله فينا رسولاً ، فدعانا الى ربه فأجبناه ، فقال لرسوله : اني قد سلطت هذه الطائفة ، على من لم يدن بديني ، فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد الا ذل ، ولا يعتصم به أحد الا عز . فقال له رستم : ما هو ؟ قال : أما عموده الذي لا يصلح الا به ، فشهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، قال رستم : ما أحسن هذا ! وأي شيء أيضا ؟ قال : واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . قال رستم : حسن . وأي شيء أيضا ؟

قال : والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم .

قال رستم : ما أحسن هذا ! أرأيت إن أجبت الى هذا ومعي

---

(١) الجعل « بالضم » ما جعل للانسان من شيء ، أي « العطاء » هنا .

قومي ، كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ قال : أي والله ، ثم لا نقرب بلادكم أبدا الا في تجارة أو حاجة .

قال رستم : صدقتني والله ، أما ان أهل فارس منذ ولي اردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة[1] ، وكانوا يقولون : اذا خرجوا من أعمالهم، تعدوا طورهم، وعادوا أشرافهم.

فقال زهرة : نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ، بل نطيع الله في السفلة ، ولا يضرنا من عصى الله فينا ، وانصرف زهرة الى جيشه .

فجمع رستم الاعاجم ، فذاكرهم بالاسلام فأنفوا ، فقال : أبعدكم الله وأسحقكم ، أخزى الله أخرعنا[2] وأجبننا .



(١) السفلة : « بكسر الفاء » السقاط من الناس ، يقال هو من السفلة ، ولا يقال هو سفلة لانها جمع « مختار الصحاح ، ص : ٢٥٨ » ، والمعنى المراد هنا : « عامة الناس » .

(٢) الخرع « بفتحتين » الرخاوة في الشيء ، وقد خرع الرجل أي ضعف .

سفير أرهب جيشا

✱ ربعي بن عامر : المسلمون كالجسد الواحد ، بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على اعلاهم ..

أرسل رستم الى سعد ، أن ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا . فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم ، فقام ربعي بن عامر وقال لسعد : ان الاعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم ، فلا تزدهم على رجل ، فوافق الجميع على ذلك ، فأرسله سعد وحده ، لما تفرس به من فطنة ، أو لظهور حكمته وشجاعته . ظهرت لسعد شخصية رجل مفكر ، رجل واحد وكفى . يجب أن نشعرهم بحقارتهم ولا نحفل بهم . سار هذا الرجل الفارس اليهم غير هيّاب من أحد ، وكيف يهاب أحدا ، وهو الذي يقول عشرات المرات « الله أكبر » كل يوم أثناء صلاته ؟

سار اليهم ، وعلم رستم بمجيئه ، فحبسه الحراس على جسر نهر الفرات خشية منه ، ولكن رستمْ سمح له بعد مشاورات ، وأمر أصحابه أن يتهاوتوا معه . جلس رستم في زينة على سرير من ذهب خالص ، وبسط البسط والنمارق[1] ، والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة .

---

(١) النمرق والنمرقة ، الوسادة الصغيرة ، والنمرقة بالكسر لغة ، وربما سموا الطنفسة التي فوق الرجل نمرقة « مختار الصحاح ، ص : ٦٨٥ » .

هؤلاء فتحوا العالم وسيوفهم ما كان لها غمد من ذهب ، بل ملفوفة بالخرق ! فتفكر ؟؟!! . ورمحه مشدود بعصب وقد[1] ، فلما انتهى الى البسط المفروشة قيل له : انزل ، فحمل فرسه عليها ، ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه . « هل هذه أعمال خائف أو مندهش من هذه الزينة التي يراها لاول مرة في حياته ؟ » ، وأظهروا له التهاون ، وعرف ما أرادوا فأراد احراجهم ، كان عليه درع ، فأخذ عباءة بعير كانت معه ، فتدرعها وشدها على وسطه بسلب[2] ، فقالوا : ضع سلاحك فقال : لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني ، فان أبيتم أن آتيكم الا كما أريد والا رجعت ، فأخبروا رستم ، فقال : ائذنوا له ، هل هو الا رجل واحد ؟ فأقبل بمنظره الرهيب الغريب ، فعلى ضخامة جسده ، يلبس درعاً ، وعباءة بعير فوقه ، فكيف أصبح منظره ؟ أقبل ربعي يتوكأ على رمحه ، يقارب خطوة يتلوها خطوة ، ويزج النمارق والبسط ، فلم يدع نمرقاً ولا بساطاً الا أفسده وهتكه ، فلما دنا من رستم ، جلس على الارض ، وركز رمحه على البسط ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ قال : انّا لا نستحب القعود على زينتكم هذه ، فقال له ترجمان رستم « واسمه عبّود من أهل الحيرة » ، ما جاء بكم ؟ فالى الآن لم يفهم رستم ما الذي جاء بهذا الجيش !

---

(١) القد : الشيء المقدود ، السير من الجلد (وهو المراد هنا) .

(٢) السلب : لحاء شجر معروف باليمن ، والسلبة : خيط يشد على خطم البعير دون الخطام ، والسلبة عقبة تشد على السهم . راجع لسان العرب ، ج : ١ ، ص:٤٧١ .

ويحق له ، فلم يكن ينتظر من هذه الامة أن تجابه الفرس ، أو هي آخر أمة كان يفكر بها رستم • فاذا بأفراد هذه الامــة ، وقد صار كل فرد منها كأنه محور هذا الكون في عزته وايمــانه واخلاصه •••

قال ربعي ، والجميع ينظرون اليه بخوف ومهابة وحذر : « علّ هذا يقوم اليهم فيأكلهم » قال : الله جاء بنا ، وهو بعثنــا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، لندعوهم اليه، فمن قبله ، قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه ، حتى نفضي[1] الى الجنة أو الظفر ، فقال رستم : قــد سمعنا قولكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيــه وتنظروا ، قال : نعم ، كم أحب اليكم أيوم أو يومان ؟

قال رستم : بل نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، وأراد بذلك مقاربته ومدافعته ومماطلته ، فقال ربعي : وان مما سن لنا رسول الله ﷺ ، وعمل بــه أئمتنا ، أن لا نمكن الاعــداء أكثر مــن ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعــد الاجل ، ((أي بعد الايام الثلاثة)) ، اما الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك ، وان احتجت الينا نصرناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع الا أن تبدأنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابي •

قال رستم : أسيدهم أنت ؟

ربعي : لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد ، بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم •

---

(١) أفضى : خرج الى الفضاء ، والمراد هنا « نؤول ونرجع » الى الجنة •

أليست هذه كلمات حكيم فيلسوف تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ؟!

رجع ربعي الى جيشه المسلم ، وترك القوم في حيرة مما قاله، قال رستم لرؤساء جيشه : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نميل الى دين هذا « الكلب » (انها وقاحة ، وسوء أدب ، أن يقال عن ربعي هذا) ، أما ترى الى ثيابه ؟ فقال : ويحكم لا تنظروا الى الثياب ، ولكن انظروا الى الرأي والكلام والسيرة ، ان العرب تستخف باللباس والمأكل ، وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم ، فلم يجيبوه الا بالرفض .

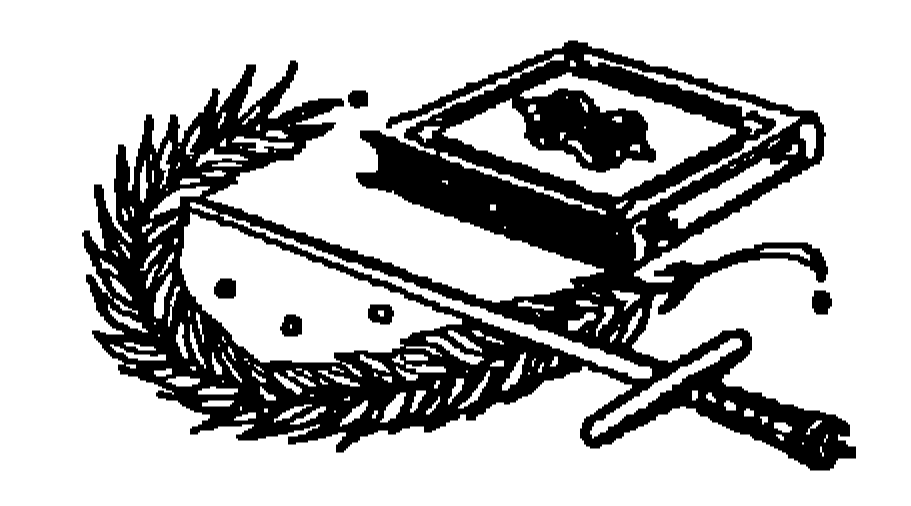
وفي اليوم التالي ، أرسل رستم الى سعد أن ابعث الينا ذلك الرجل « ربعي » ، فبعث اليهم حذيفة بن محصن ، ليعلم رستم أن الجيش كله بعزم وايمان وتصميم وشجاعة ربعي . لم تنعدم الرجال لننتقي واحدا شجاعا يمثل فئة ضعيفة ، لا : كل فرد منهم مستعد لتمثيل فئته أحسن تمثيل ، فلير رستم هذه النماذج من الامة العربية ، بعد أن ربّاها وهذّبها الإسلام !.

أقبل حذيفة في نحو من ذلك الزي الذي كان على ربعي ، ولم ينزل عن فرسه ، بل وقف أمام رستم راكبا ، قال رستم له : انزل . قال حذيفة : لا أفعل . فقال له : ما جاء بك ولم يجىء الاول ؟ قال له : ان أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ، وهذه نوبتي ، فقال ما جاء بكم ؟ « سؤال رستم المعهود » فأجابه بمثل

جواب ربعي ، فقال رستم : المواعدة الى يوم ما ، قال : نعم ثلاثا من أمس ، ورجع حذيفة وهو لم ينسخ كلام ربعي ، بل أكده ، وقال له : ثلاثة أيام ابتداء من حديث ربعي ، « ثلاثا من أمس » .

قال رستم لاصحابه : ويحكم أما ترون ما أرى ؟ جاءنا الاول بالامس فغلبنا على أرضنا ، وحقّر ما نعظم ، وأقام فرسه على زبرجدنا وربطه به ، وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا ، وهو في يُمْنِ الطائر ، يقوم على أرضنا دوننا ، وبقي رستم يتناقش مع قومه ، حتى أغضبهم وأغضبوه .

لقد كانت هذه السفارات ، بمثل هؤلاء الرجال ، تثبيطا لهمم الفرس ، فلو أدرك رستم نتائجها ، ما طلب أحدا يذاكره .



المغيرة بن شعبة

كلمات ... أفسدت على الفرس حياتهم .. انه داهية العرب .. انه أبو عبد الله المغيرة بن شعبة .

وفي اليوم الثالث ، طلب رستم رجلا آخر ، فبعث سعد اليه داهية العرب المغيرة بن شعبة[1] فعبر النهر ، أقبل المغيرة والقوم في زينتهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسُطهم ممدودة ورستم على سريره الذهبي ، أقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي ، حتى جلس مع رستم على سريره ووسادته ، كيف يجلس على الارض ، ورستم في علٍ على سريره ؟ انها العزة ، فلما رأى الجند المغيرة يجلس على سرير رستم ووسادته ، هالهم الامر ، فوثبوا اليه فأنزلوه ومعكوه[2]، فقال كلمات أفسدت حياة الفرس الى الابد ؛ قال بهدوء المطمئن واطمئنان الهادىء ، وقوة الايمان وايمان القوة :

كانت تبلغنا عنكم الاحلام ، ولا أرى قوما أسفه منكم ! انا معشر العرب

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي « أبو عبد الله » ، صحابي يقال له : (مغيرة الراي) ولد في الطائف ، اسلم سنة ٥ هـ ، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، ولاه عمر على البصرة ففتح عدة بلاد ، ثم ولاه الكوفة ، واقره عثمان عليها ، اعتزل الفتنة ، وحضر مع الحكمين ، ثم ولاه معاوية الكوفة ،فلم يزل فيها الى أن مات . للمغيرة ١٣٦ حديثا ، وهو أول من وضع ديوان البصرة ، وأول من سلم عليه بالامارة في الاسلام ، قال الشعبي : دهاة العرب أربعة : معاوية للأناة ، وعمرو بن العاص للمعضلات ، والمغيرة للبديهة ، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . « الاعلام ، جـ : ٨ ، ص : ١٩٩ » .

(٢) المعك : اللي ، معك الاديم أي دلكه ، وتمعكت الدابة ، أي تمرغت .

سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضاً الا ان يكون محاربا لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان احسن من الذي صنعتم ان تخبروني أن بعضكم أرباب بعض ، وان هذا الامر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ، ولم آتكم ، ولكن دعوتموني ، اليوم علمت ان أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوى على هذه السيرة ولا على هـذه العقول •

ماذا عملت هذه الكلمات ؟ أو ماذا خربت في فارس ؟ لن نذكر نحن هذا بتعليق منا ، بل نذكر أقوال الفرس :

قالت عامة الشعب ممن كان حول رستم : صدق والله العربي•

وقالت الدهاقين الزعماء : واللهلقد رمى بكلام لا يزالعبيدنا ينزِعون اليه ، قاتل الله أولينا ، ماكان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الامة ، فمازحه رستم ليمحو ما صنع في جيشه فقال : يا عربي ان الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك ، فالامر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق • ما هذه المغازل التي معك ؟ (يتهكم على رماحه) ، فقال المغيرة : ما ضرّ بالجمرة ألا تكون طويلة ! قال رستم : ما بال سيفك رثّاً ؟ قال رثة الكسوة ، حديد المضربة ، ثم عاطاه سيفه وبارزهم في الرماية فأدهشهم ، ثم قال رستم بعـد مبارزة الرماية : تكلم أم أتكلّم ؟ فقال المغيرة : أنت الذي بعثت الينا فتكلم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلم رستم فحمد قومه ، وعظم أمرهم وأطال ، ومما قاله : لم نزل متمكنين في البـلاد ، ظاهرين على الاعداء ، أشرافا في الامم ، فليس لأحد من الملوك مثل عزّنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصر على الناس ، ولا يُنصرون علينا

الا اليوم واليومين ، أو الشهر والشهرين للذنوب ، فاذا انتقم الله فرضي ردّ الينا عزنا ، وجمعنا لعدونا شرّ يوم هو آت عليهم ، ثم انه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم ، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة ، لا نراكم شيئا ولا نعـدّكم ، وكنتم اذا قحطت أرضكم وأصابتكم السّنة[1] ، استغثتم بناحية أرضنا ، فنأمرُ لكم بالشيء من التمر والشعير ، ثم نردّكم ، وقد علمت أنـه لم يحملكم على ما صنعتم ، الا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا آمر لاميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وآمر لكل رجل منكم بوقر[2] تمر وبثوبين ، وتنصرفون عنا ، فاني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم .

ثم تكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه وقال : ان الله خالق كل شيء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فانما هو الذي يصنعه هو له ، وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك ، من الظهور على الاعداء ، والتمكن في البلاد ، وعظم السلطان في الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك وصيّرنا اليه ، والدنيا دوَل ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا اليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر ، كـان شكركم يقصر عمـا أوتيتم ، وأسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا بـه

---

(١) السنة : هنا القحط والجوع .

(٢) (بكسر الواو) : وهي الحمل ، واكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير .

أهل كفر ، كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفّه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون اليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ... ثم ذكر مثل الكلام الاول ، ليقنعه أن كل شيء قد تغير ، ثم قال : وان احتجت الينا أن نمنعك ، فكن لنا عبداً ، تؤدّي الجزية عن يد وأنت صاغر ، والا السيف ان أبيت !

فنخر رستم نخرة ، واستشاط غضبا ، ثم أقسم بالشمس لا يرتفع الصبح غدا حتى أقتلكم أجمعين . فانصرف المغيرة تاركا وراءه رستم ومن حوله يغلون غضبا ، وفي دوامة من التفكير .. ما غيَّر هؤلاء ؟!.

ثم قال رستم لأهل فارس من حوله : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ؟ ألم يأتكم الأوّلان « ربعي وحذيفة » فحسَّراكم واستحرجاكم ثم جاءكم هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقا واحدا ، ولزموا أمرا واحدا ، هؤلاء والله الرجال ، صادقين كانوا أم كاذبين ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم ألا يختلفوا ، فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم ، لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء ، فلجّوا وتجلّدوا ، وقال : والله اني لأعلم أنكم تصغون الى ما أقول لكم ، وان هذا منكم رثاء ، فازدادوا لجاجة .

أرسل رستم مع المغيرة رجلا أراد به أن يحطم عزة ومعنويات المغيرة العالية ، وقال رستم لرجله : اذا قطع القنطرة « التي

على الفرات » ووصل الى أصحابه ، فنـاد : ان الملك « يعني رستم » كان منجّماً قد حسب لك ونظر في أمرك ، فقال : انك غداً تُفقأ عينك • ففعل الرسول ، فأجابه المغيرة على الفـور : **بشرتني بخير وأجر ، ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين، لتمنيت أن الاخرى ذهبت أيضا ، فاذا برسول رستم ومن حوله يتعجب من بصيرته ، وسرعة بديهته ، وعزيمة نفسـه ، ورجع الرسول الى رستم ، وقال له ما قاله المغيرة فقال رستم : أطيعوني يا أهل فارس ، واني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها عن أنفسكم •**

ورأى رستم جماعة مـن المسلمين فاستقدمهم وقال لهم : ارجعوا، انصرفوا عنا عامكم هذا ، ونحن نَميركم[1] فاني لاأشتهي أن أقتلكم • مثلكم كمثل الذباب يرى العسل فيقول : من يوصلني اليه وله درهمان ، فاذا دخله غرق ونشب فيقول : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟!

وقال أيضا : انما مثلكم مثل ثعلب دخل حُجراً وهو مهزول ضعيف الى كرم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكرم، ورأى ما به ، فرحمه ، فلما طال مكثه في الكرم وسمِن ، وصلحت حاله ، وذهب ما كان به من الهزال أشِر[2] ، فجعل يعبث بالكرم ويفسد أكثر ممـا يأكل ، فاشتد على صاحب الكرم ، فقـال : لا أصبر على هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليـه غلمانه ، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم ، فلما رأى أنهم غيرمقلعين

(١) نميركم : الميرة : الطعام ، والمعنى هنا : نطعمكم ، ونمدكم بالميرة •
(٢) الاشر : البطر •

عنه ، ذهب ليخرج من الحُجر الذي دخل منه ، فنَشِب[1] ، اتّسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ، فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جئتم وأنتم مهازيل ، وقد سمنتم شيئا من سِمَن ، فانظروا كيف تخرجون[2] !

وقال أيضا : ان رجلا وضع سَلاً ، وجعل طعامه فيه ، فأتى الجرذان ، فخرقوا سلّه ، فدخلوا فيه فأراد سدّه ، فقيل له : لا تفعل ، اذاً يخرقنه ، ولكن انقب بحياله ، ثم اجعل فيها قصبة مجوّفة ، فاذا جاءت الجرذان دخلت من القصبة وخرجت منها ، فكلما طلع عليكم جرذ قتلتموه وقد سددت عليكم ، فاياكم أن تقتحموا القصبة ، فلا يخرج منها أحد الا قتل ، وما دعاكم الى ما صنعتم ، ولا أرى عدداً ولا عُدّة ؟!

فوقف مسلم يرد عليه فقال : أما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا ، فلما تبلغ كنهه ! من مات منا الى النار ، ويبقى الباقي منا في بؤس ، فبينا نحن في أسوأ ذلك ، بعث الله فينا رسولا من أنفسنا ، رحمة رحم بها من أراد رحمته ، ونقمة ينتقم بها من رد كرامته ... ثم قال : وأما ما ضربتم لنا من الامثال ، فانكم ضربتم للرجال والامور الجسام وللجد والهزل ، ولكنا سنضرب مثلكم ، انما مثلكم مثل رجل غرس أرضا واختار

(١) نشب الشيء في الشيء « بالكسر » نشوبا ، اي علق فيه ، « مختار الصحاح ، ص : ٥٦٦ » .

(٢) ومما قاله رستم : انما ضغا « صاح » الثعلب حين مات الاسد «يعني كسرى» .

لها الشجر والحب . وأجرى اليها الانهار وزينها بالقصور . وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها . ويقومون على جناتهـا : فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب : وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرتهم ، فلما لم يستحيوا من تلقـاء أنفسهم ، استعتبهم فكابروه . فدعا اليها غيرهم ، وأخرجوا منها ، فان ذهبوا عنهـا تخطّفهم الناس ، وان أقاموا فيها صاروا خولا « عبيداً » لهؤلاء ، يملكونهم ولا يملّكون عليهم . فيسومونهم الخسف أبدا ؛ ووالله أن لو لم يكن ما نقول لك حقا ، ولم يكن الا الدنيا . لما كان لنا عما ضرينا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زبرجكم من صبر ، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون الينا أم نعبر اليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا ، وخرجوا من عنده عشيا ، وأرسل سعد الى الناس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسـل رستم الى جنـده أن يستعدوا . فبـاتوا يَسْكُرُون(١) ليعبرون في الغد ؛ لأن سعداً منعهم من أن يعبروا القنطرة قائلا لهم : لا ولا كرامة ! أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ، تكلّفوا معبراً غير القنـاطر ؛ فباتوا يسكُرون « العتيق »(٢) حتى الصباح بأمتعتهم ؛ فعبروه بأثقالهم الى ضفته الثانيـة .

* * *

(١) يسكرون : يسدون طريق النهر .

(٢) فرع من فروع نهر الفرات (واقع غربه) .

أيام القادسية

المحرم : ١٤ هـ

يوم أرماث

✱ يا معشر العرب .. انكم تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم احوط منكم على آخرتكم : لا تحدثوا اليوم امرا تكونون به شيئا على العرب غدا .

عبر الفرس النهر ، وجلس رستم على سريره ، وضرب حوله طيّارة ، وعبّأ في قلب جيشه ١٨ فيلا ، عليها صناديق كالتوابيت ، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة ، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته ، والبيرزان بينه وبين ميسرته ، ووضع يزدجرد بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة رجلا (أي ان كل رجل يسمع صوت الذي قبله والذي بعده) ، أولهم على باب ايوانه في المدائن ، وآخرهم عند رستم ، فكلما فعل رستم شيئا ، قال الذي عنده للذي يليه كان كذا وكذا ، ثم يقول الثاني ذلك للذي يليه صياحاً بصوت جَهْوَري ، وهكذا الى أن ينتهي الى يزدجرد في أسرع وقت .

✱ قال ياقوت : يقال لليوم الاول من أيام القادسية التي قاتل فيها المسلمون الفرس : يوم ارماث : ويقال لليوم الثاني : أغواث ، ويقال لليوم الثالث : يوم عمواس، وكان اليوم الرابع يوم القادسية ، وفيه كان الفتح على المسلمين ، ولا أدري أهذه الاسماء مواضع ، أم هي الرمث ، والغوث ، والعمس ؟.

أما سعد فقد نظم الجيش ، ثم كتب الى الرايات ، اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة ، وليس يمنعني أن أكون مكانه ، الا وجعي الذي يعودني ، وما بي من دمامل ، فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوه ، فانه انما يأمركم بأمري ويعمل برأيي ، فقرئ على الناس فزادهم خيرا ، وانتهوا الى رأيه ، وقبلوا منه ،وتحاثّوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع ، وسعد بماضيه مشهود له ، وهو ممن ثبتوا في أحد ، لكنه المرض : الدمامل وعرق النسا ، فلا يستطيع الجلوس فهو مكب على وجهه ، وفي صدره وسادة ، وقال فرد من الجيش منتقداً سعداً :

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيّم

فبلغ ذلك سعداً ، فخرج الى الناس ، فاعتذر اليهم ، وأراهم ما به من القرح في فخذيه وأليتيه فعذره الناس ، لعمري .. لم يكن سعد يُجبّن ، وقال سعد : اللهم ان كان هذا كاذبا ، وقال الذي قاله رياء وسمعة ، فاقطع عني لسانه ، ففي نفس اليوم وهو في الصف ، أتاه سهم لا يُعْرَف راميه من الفرس ، فأصاب لسانه ، فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى .

وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة والشعراء ، كالشماخ والحطيئة ، وأمرهم تحريض الناس على القتال ففعلوا ،

وأمر سعد بقراءة سورة الجهاد « وهي سورة الانفال »[1] ، فلما قرئت خشعت الارواح ، وهشت قلوب الناس وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع القراء حتى فرغوا ، ثم قال سعد ، الزموا مواقفكم حتى تصلّوا الظهر ، فاذا صليتم فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، فان سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ، ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ، فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله ، ولما نودي الى صلاة الظهر بصوت المؤذن الشجي، ورأى رستم سعداً يخطب الناس ، ويتلو قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون[2] » ثم رآه يصلي بالجيش[3]، فنادى رستم بالفارسية « باد شهان مرندر .. » **أي : أكل عمر كبدي أحرق الله كبده ! علم هؤلاء حتى علموا .**

ولما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات ، فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم ، فتبادلوا الطعن والضراب ، والخطباء يشجعون ومما قيل في ذلك : قال ابن الهذيل الاسدي : يا معشر معد ، اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليهم كأسود الأجم وتربدوا « تعبسوا واغضبوا » لهم تربد النمور ، وادّرعوا العجاج وثقوا بالله ، وغضوا الابصار ...

---

(١) سنذكر في الجزء الثاني ـ وهو عن اليرموك ـ سبب اختيارهم لقراءة سورة الانفال ، والمغزى الذي تنطوي عليه .

(٢) سورة الانبياء ، الآية الكريمة : ١٠٥ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ : ٧ ، ص : ٤١ .

وقال بُسْر بن أبي رهم الجهني[1] : احمدوا الله ، وصدّقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحدتموه ، ولا اله غيره ، وكبرتموه ، وآمنتم بنبيه ورسله ، فلا تموتنّ الا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شيء بأهون عليكم من الدنيا ، فانها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها فتهرب منكم لتميل بكم، انصروا الله ينصركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معشر العرب ، انكم أعيان العرب وقد صمدتم « وفي رواية قصدتم » الاعيان من العجم ، وانما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم ، لا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شيئا على العرب غداً .

وقرأ ربيع بن البلاد السعدي الآية الكريمة : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين[2] »

وظهر غالب بن عبد الله الاسدي[3] وهو يقول :

---

(١) صحابي ، واحد الشعراء الفرسان ، له أخبار واشعار في فتوح العراق ، وابلى في القادسية البلاء الحسن . راجع « الاعلام ، جـ : ٤ ، ص : ١٤ » .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة ١٣٣ .

(٣) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي ، قائد ، صحابي ، من الولاة ، بعثه النبي ﷺ سنة ٥ هـ في ستين راكبا الى « الكديد » فظفر ، وأرسله سنة ٨ هـ ومعه مئتا مقاتل الى « فدك » فعاد غانما ، وبعثه عام الفتح ليسهل له الطريق الى مكة ويكون « عينا » له ، وشهد القادسية ، وقتل هرمز ملك الباب ، وولاه زياد بن أبيه خراسان في زمن معاوية سنة ٤٨ هـ . « الاعلام ، جـ : ٥ ، ص : ٣٠٢ » .

قــد علمت واردة المســائح ذات اللبان[1] والبنان الواضح
أني سمام البطل المشــايح[2] وخــارج الامــر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز ، وكان من كبار العجم ، فأسره غالب بن عبد الله الأسدي وجاء به الى سعد ، ثم عاد الى المطاردة ، وخرج عاصم بن عمرو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبّب[3] مثل اللجين إذ تغشّاه الذهب
أني امرؤ لا من تعيبه السّبب مثلي على مثلك يغريــه العتب

فطارد عاصم فارسياً فانهزم ، فاتبعه عاصم حتى خالط صف العجم فحموه ، فأخذ عاصم بغلة هذا الفارس ، فاذا به خباز الملك . وخرج آخر من الفرس ينادي : « مرد ومرد » أي يريد البراز ، فانتدب له عمروَ بن معد يكرب فبارزه فاعتنقه ، ثم جلد به الارض فذبحه ، ثم التفت الى الناس ، فقال : ان الفارسي اذا فقد قوسه فانما هو تَيْس ، ثم التقت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء ، فجاءت نشّابة نحو عمرو بن معد ، فعرف راميها فالتفت اليه فحمل عليه، فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى اذا دنا من المسلمين ، كسر عنقه ، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه

(١) اللبان : الصدر ، والابيات في كل المراجع المعتمدة ، راجع مثلا مروج الذهب، ج : ٢ ، ص : ٣٢٠ .

(٢) المشايح : المقاتل .

(٣) اللبب : موضع القلادة في الصدر ، راجع المرجع السابق ، والكامل : ج : ٢، ص :٣٢٦ .

ثم ألقاه ، ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم ! قلنا : يا أبا ثور ، من يستطع أن يصنع كما تصنع[1] ؟

الا انّ الذي أزعج المسلمين هو « الفيلة » ، اذ نفرت الخيل وفرقت الكتائب ، وركز الفرس بـ ١٧ فيلا على بَجيلة ، فكادت تهلك لنفار خيلها ، فأرسل سعد الى بني أسد ، أن دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس ، فخرج طليحة بن خويلد وحمّال بن مالك في كتائبهما ، فباشروا الفيلة حتى ردوها ، وخرج الى طليحة عظيم من الفرس ، فقتله طليحة ، فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من كتيبة أسد ، رموهم وحملوا عليهم ، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد ، وكان ممن ظهر منه شدة الجالينوس وذو الحاجب الفارسيان ، فكبر سعد الرابعة ، فزحفت اليهم كتائب المسلمين ، ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة ، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد ، فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ، ألستم أصحاب الابل والخيل ؟! أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة ، فقال لهم : يا معشر الرماة ، ذبّوا ركبان الفيلة عنهم بالنّبل ،

---

(١) ابو ثور ، عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ، فارس اليمن ، وفد على المدينة سنه ٩ هـ ، في عشرة من بني زبيد ، فاسلم واسلموا ، وعادوا ، رجع الى الاسلام بعد حروب الردة ، فبعثه أبو بكر الى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها احدى عينيه ، وبعثه عمر الى العراق فشهد القادسية ، وكان عصي النفس أبيها ، فيه قسوة الجاهلية ، له شعر جيد ، توفي عام ٢١ هـ على مقربة من الري . « الاعلام ، جـ : ٥ ، ص : ٢٦ » .

وقال : يا معشر أهل الثقافة ، استدبروا الفيلة فقطّعوا وضُنها[1]، وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، فأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب[2] توابيتها ، فقطعوا وضُنها ، وارتفع عواؤهم ، فما بقي لهم يومئذ فيل الا أعري وقتل أصحابها، وتقابل الناس ونُفّس عن أسد ، وردوا الفرس عنهم الى مواقعهم، واقتتلوا حتى غربت الشمس ، وحتى ذهبت هدأة من الليل ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ، وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة ، وكانوا ردءاً للناس ، وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم ، وهـذا يوم الحرب الاول وهو يوم أرماث[3] .

ومما قيل شعراً في هذا اليوم ما ذكره ابن حبيش حيث قال ، قال عمرو بن شأس الاسدي :

لقـد علمت بنـو أسـد بأنا	أولوا الاحلام اذ ذكروا الحلوما
وأنا النازلون بكل ثغـر	ولو لم نلفه الا هشـيما
ترى فينـا الجيـاد مسومات	مع الابطال يعلكن الشـكيما

(١) بطائن عريضة منسوجة من الشعر يربط بها ما على الفيل .

(٢) ذباذب : أشياء تعلق بالهودج للزينة .

(٣) راجع لأخبار يوم أرماث :

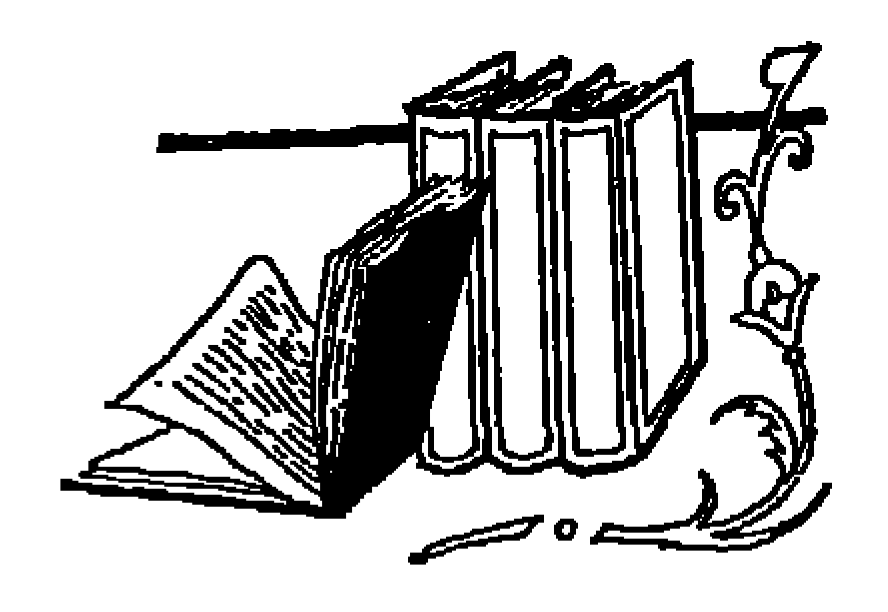
- الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٥٢٠ .
- الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٤ .
- البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٤١ .
- ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ٢ ، ص : ٩١ .
- مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣٢١ .

ترى فينـا الجيـاد مجلحات تنهنه[1] عن فوارسها الخصوما

بجمـع مثـل سلم مكفهـر تشبههم اذا اجتمعـوا قروما

بمثلهم تلاقي يـوم هيـج اذا لاقيت بأسـاً أو خصوما

نفينـا فارسـاً عمـا أرادت وكانت لا تحاول أن تريما[2]



(١) تنهنهه : أي تكف وتزجر ٠

(٢) من رام يريم أي برح ، يقال لها (رمت) أي برحت وهو دعاء الاقامة أي لا زلت مقيما ٠

يوم أغواث

✶ « صوت القعقاع في الجيش خير من الف رجل »

أبو بكر الصديق

أصبح القوم ، فوكّل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم الى العذيب ، فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم ، وهذا هو دور المرأة المسلمة مع حشمتها وايمانها ، تشارك في المعركة بكل طاقاتها ، فهي ملاك الرحمة ، تسهر على راحة اخوانها الجرحى . وبينما هم يدفنون الشهداء ، طلعت نواصي الخيل من الشام « وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر » وكان في مقدمة الاشاوس المؤمنين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي[1] .

الحرب فن وخبرة ، ولا أدري من أين جاء هؤلاء الفرسان بفنون الحرب وخططها ، وهم حديثو عهد بالحروب الحقيقية ؟ ماذا عمل القعقاع وهو يعلم عدد جيش المسلمين ، وضخامة جيش الفرس ؟ عهد الى أصحابه أن يتقطعوا أعشاراً « عشرة عشرة » :

---

(١) القعقاع بن عمرو التميمي : أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والاسلام، له صحبة ، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس ، وسكن الكوفة ، وأدرك « صفين » فحضرها مع علي ، وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل « ملك الروم » ، ويلبس درع بهرام « ملك الفرس » وهما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس ، وكان شاعرا فحلا ، توفي نحو سنة ٤٠ هـ .

وهم ألف فارس ، فينطلق أول عشرة ومعهم القعقاع الى جيش المسلمين ، فان وصلوه ، انطلق من الافق البعيد عشرة متباعدون ، يثيرون الارض نقعاً حتى يصلوا ويلحقوا بجيش المسلمين : وهكذا لا تظهر في الافق عشرة ، الا وقد وصل عشرة ، فبقيت العشرات تتوارد على القادسية حتى المساء • فماذا حقق القعقاع بهذا ؟ ألقى في قلوب الفرس رعباً ، فقد ظنوا أن مائة الف قد وصلوا من الشام، فهبطت هممهم ، وهي في الاصل هابطة الى الحضيض ، وانهارت معنوياتهم اكثر، وحقق شعوراً بالثقة للمسلمين، اذ كانوا لا يعرفون العدد ، ولم يخبروا بخطة القعقاع ، وزادهم ثقة أنه في لحظة وصوله ، ومن توّه ، طلب البراز من الاعداء ، فقال الصحابة : يقول أبو بكر : لا يهزم جيش فيه مثل هذا[1] • فخرج اليه ذو الحاجب ، ليقضي على نواة مقاومة لم يعهدوا بالامس مثلها • فقال له القعقاع : من أنت ؟ قال : أنا بهمن جاذويه « ذو الحاجب »، فنادى القعقاع مستبشراً : يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر ! فاجتلدا ، فتمكن منه القعقاع فقتله ، وجعلت خيله ترد قطعاً ، وما زالت ترد الى الليل ، وتنشّط الناس ، وكأن لم يكن بالامس مصيبة ، ونادى القعقاع باتجاه الفرس : من يبارز ؟ فخرج اليه رجلان أحدهما « البيرزان » ، والآخر « البندوان » ، فانضم

---

(١) تلغي الماركسية أهمية الدور الذي لعبه ويلعبه « الفرد » في المجتمع ، وبخاصة تأثيره على مجرى التاريخ ، وان الدور كله للجماهير ، وفي هذا القول مخالفة للمنطق والواقع والتاريخ ، ولا سيما أن واحدا في هذا العصر لا يستطيع ان ينكر مثلا الاثر الذي تركه « ماركس » ذاته في العالم وفي مصيره ، الجماهير لا تصنع وحدها شيئا ، وصفحات التاريخ كتبت وتكتب بافعال رجال لمعت اسماؤهم في شتى الآفاق ، وفي كل المجالات • وهذا القعقاع مثل على مانقول !!

الى القعقاع الحارثُ بن ظبيان بن الحارث ، فاستلم القعقاعُ البيرزانَ فضربه فأذرى رأسه ، وبارز ابن ظبيان البندوان ، فضربه فأذرى رأسه ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشر المسلمين ، باشروهم بالسيوف ، فانما يُحصد الناس بها ، فاجتلدوا حتى المساء ، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئا مما يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل ، اذ كانت توابيتها قد تكسرت بالامس ، فاستأنفوا اصلاحها حتى أصبحوا ، فلم ترتفع على ظهر الفيلة حتى كان الغد .

وزيادة في تشجيع المسلمين ، جعل القعقاع كلما قدم عشرة من أصحابه كبروا وكبر المسلمون ، ويحمل ويحملون على الفرس زيادة في حرب نفسية تهدم معنويات العدو ، وحمل بنو عمّ للقعقاع عشرة عشرة ، على ابل قد ألبسوها وهي مجللة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولهم تحميهم ، وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس، يتشبهون بها بالفيلة ، ففعلوا بهم هذا اليوم ، وهو يوم أغواث[1]، كما فعلت فارس يوم أرماث ، فجعلت خيل الفرس تفر منها ، وركبتها خيول المسلمين ، فسرّ المسلمون ، ولقي الفرس من الابل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة ، وحمل رجل من تميم يقال

---

(١) لأخبار يوم اغواث راجع :

- الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٥٤١ .
- الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٨ .
- البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٤٢ .
- ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ٢ ، ٩٨ .

له سواد على رستم فقتل دونه ، وخرج رجل من فارس ليبارز ، فبرز اليه الأعرف بن الأعلم العقبلي فقتله ، ثم برز اليه آخر فقتله، فأحاطت به فوارس منهم فصرعوه ، وأخذوا سلاحه ، فلم يستسلم اليهم ، بل عفّر في وجوههم التراب حتى رجع الى أصحابه ، وحمل القعقاع هذا اليوم ثلاثين حملة ، كلما طلعت قطعة من الجند العشرة حمل حملة وأصاب فيها ، فكان آخر من قَتَلَ « بزرجمهر الهمداني » ومما قاله القعقاع في هذا اليوم :

حبوته جياشة بالنفس　　　هدارة مثل شعاع الشمس

في يوم أغواث فليل الفرس　　　أنخس بالقوم أشد النخس

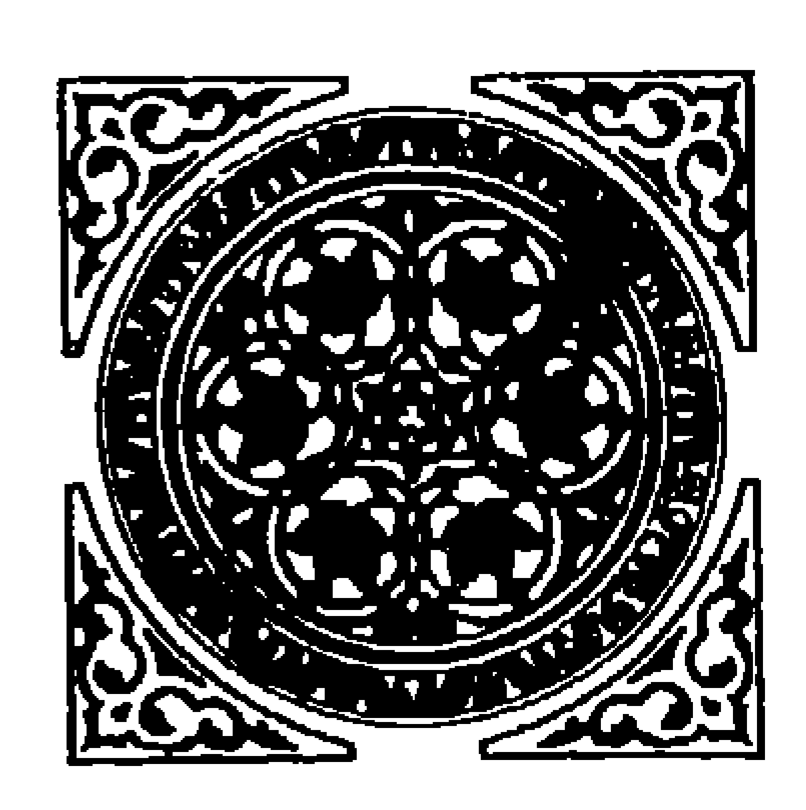
حتى تغيض معشري ونفسي

وقاتلت الفرسان حتى انتصف النهار ، فلما اعتدل النهار تزاحفوا من جديد ، حتى انتصف الليل ، فكانت ليلة أرماث تدعى الهدأة ، وليلة أغواث تدعى السواد ، ولم يزل المسلمون يرون يوم أغواث الظفر .

ـ ومما يذكر ، خرج رجل من أهل فارس ينادي من يبارز ، فبرز له علِبْاء بن جحش العجلي ، فنفحه علباء فأسحره « أصاب رئته » ، ونفحه الآخر فأمعاه « أصاب أمعاءه » وخرّ على الارض ، فأما الفارسي فمات من ساعته ، وأما المسلم « علباء العجلي » فانتثرت أمعاؤه ، فلم يستطع القيام ، فعالج ادخالها فلم يتأتّ له، حتى مرّ به رجل من المسلمين ، فقال : يا هذا ، أعنّي على بطني،

فأدخله له ، فأخذ بصفاقيه « جلد البطن » ثم زحف نحو صفّ الفرس ، ما يلتفت الى المسلمين ، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعا من مصرعه الى صف الفرس وقال :

قد كنت ممن أحسن الضّرابا أرجو بهـا من ربنـا ثوابـا



الخنساء وأولادها

✶ « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » .

✽ ومن القصص التي حدثت في يوم القتال هذا ، قصة الخنساء وأبنائها الأربعة :

الخنساء « تماضر » بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة السُّلمية الشاعرة[1] ، جمعت أبناءها الأربعة ، وقالت لهم أوَّل الليل : يا بني ، انكم أسلمتم وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله غيره ، انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجَّنت حسبَكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل : **« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون »** ، (آل عمران : ٢٠٠) .

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين ، فاغدوا الى قتال عدوِّكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، واذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها ،

(١) راجع : « أسد الغابة » الجزء : ٧ ، صفحة : ٩٠ ، و « الاعلام » ، الجزء : ٢ ، صفحة : ٦٩ ، وأعلام النساء ، ج : ١ ، ص : ٣٦٠ .

وجلّلت ناراً على أرواقها[1] ، فتيمّموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها[2] تظفروا بالغُنْم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

فخرج بنوها قابلين لنصحها ، وأخذوا في صباح اليوم الثاني للقتال مراكزهم ، وهم يتغنّون بنصيحة أمهم شعراً ملتهباً بالايمان، يكشف عن تسكُّن روح الجهاد في نفوسهم .. تقدم الأول يقول[3]:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة   قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة   فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة[4]   وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غُنْماً رابحة

ويتقدّم فيقتل ، ثم يتقدّم الأخ الثاني للحرب منشداً :

إنّ العجوز ذات حزم وجلد   والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أوتنا بالسداد والرّشد   نصيحة منها وبرّاً بالولد
فباكروا الحرب حماةً في العدد   إما الفوز بارداً على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد   في جنة الفردوس والعيش الرّغد

---

(١) الروق : السقف في مقدم البيت ، والروق إيضا الفسطاط .

(٢) الخميس : الجيش .

(٣) راجع أعلام النساء ، ج : ١ ، ص : ٣٦٠ وما بعدها .

(٤) صدر البيت في اعلام النساء : « قد ايقنوا منكم بوقع الجائحة » ، وعجز البيت نفسه .

ويتقدم ، فيقاتل حتى يستشهد ، فيتقدم الأخ الثالث للقتال قائـلا :

والله لا نعصي العجوز حرفـا	قـد أمرتنا حرباً وعطفـا
نصحاً وبراً صادقاً ولطفـا	فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفّوا آل كسرى لَفّـا	أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير منكم ضعفا	والقتل فيكم نجـدة وزلفى

ويظل يجالد حتى يُصْـرع . فيتقدم الأخ الرابع وهو ينشد مترنّماً :

لست للخنساء ولا للأخـرم	ولا لعمرو ذي السنا الأقـدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم	ماضي على الحول خضم مخضرم
إما لفـوز عاجـل ومغنـم	أو لوفاة في سبيل الأكـرم

فيقاتل حتى يلحق باخوته الى الرفيق الأعلى . فلما بلغ الخبر الخنساء : التي جعلت من أساها على أخيها صخر مناحة أليمة في تاريخ الادب العربي . نجدها الآن لا يهزّها إلا فخراً واحتساباً قائلة : « الحمد لله الـذي شرّفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[1] » .

---

(١) أعلام النساء ، ج : ١ ، ص : ٣٧٠ . ومما قالته لما شهدت حرب القادسية .

بهين النفوس وهون النفوس ... غـداة الكريهـة ابقى لهـا .

ـ توفيت الخنساء سنة ٢٤ هـ بالبادية .

* وتقديراً لهذه الأم المؤمنة ، التي كان دافع العقيدة عندها باعثاً على دفع بنيها جميعاً بيدها ولسانها الى الجهاد ، الأم المؤمنة ، التي قلب الاسلام نُوَاحها صبراً واحتساباً ودعاء لله عز وجل .. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يعطيها أرزاق أولادها الأربعة. لكل واحد مائتا درهم ، حتى قُبِض رضي الله عنه .

هذا هو فضل الايمان على القلوب التي استنارت به ، وهذه هي الأم المسلمة ، تبني جيلاً مهيئاً للجهاد والبذل والتضحية .. فأين نساء العصر لينهجوا نهجها ؟؟!! ومن يجزع في الملمَّات ، فليسمع ، وليشهد ماذا فعل الايمان بالخنساء ، فبالاسلام علاجه ، منه يستمد الصبر ، ومنه يتعلم البذل والعطاء ، ان الايمان يطبب النفوس من علاتها ، ويصنع المعجزات ، وهذه الخنساء خير شاهد !!.

* * *

ومما يذكر ، أنه لما اشتد القتال ، كان أبو محجن مقيداً خلف الجيش ، للظن به أنه شرب الخمر ، فصعد الى سعد يستعفيه وهو يشرف على أرض المعركة[1] ، فردّه سعد ، فنزل فقال لزوجته سلمى بنت خَصَفَة « زوجة سعد » : هل لك الى خير ؟ قالت : وماذاك؟ قال : أن تخلي عني وتعيريني البلقاء « فرس سعد » فللّه علي ،

(١) دمامل سعد تنزف ، ولكنه في شغل عنها ، فهو من الشرفة يكبر ويصيح ويراقب ويصدر أوامره لهؤلاء أن تقدموا صوب الميمنة ، ولاولئك أن شدوا ثغرات الميسرة ... وكان صوته المفعم بقوة العزم والامل ، يجعل من كل جندي فرد جيشا بأمره ، فهو القائد الحق للقادسية ولو كان مريضا معذورا .

ان سلمني الله ، أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي ، فأبت ، فقال حزينا على نفسه ، فالابطال في الحلبة وهو مقيد :

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
فللّه دري يوم أترك موثقاً وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألاّ أزور الحوانيا

فقالت سلمى : اني استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته[1]، أما الفرس فلا أعيرها ، ورجعت الى بيتها ، فاقتادها وأخرجها فركبها ، ثم دبّ عليها ، حتى اذا كان بحيال الميمنة كبّر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ، فتساءل القوم عن هوية هذا الفارس الذي يقصف العجم قصفا منكرا ، عجبوا منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار ، فتحزروا عليه ، فمنهم من قال : من أصحاب هاشم جاء من الشام أو هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص نفسه ، حتى سعد صار يقول وهو مشرف على الناس مكبّ في أعلى بيته : والله لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا : ملك يثبتنا ، هذا ملاك بيننا ولا يذكره الناس ولا يأبهون له ، ولما انتصف الليل تراجع الطرفان ، فأقبل

(١) راجع مثلا مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٣ .

أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ، ووضع عن نفسه وعن دابته وأعاد رجليه في قيديه وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخر — بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات — وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وأنّا وفدهم في كل يوم — فان عميوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي — ولم أشعره بمخرجي الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائي — وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت سلمى : يا أبا محمد ، في أي شيء حبسك هذا الرجل؟ قال : أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي أحيانا ، فيساء لذلك ثنائي . ولذلك حبسني ، قلت :

اذا متّ فادفنّي الى أصل كرمة — تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفننّي بالفلاة فانني — أخاف اذا ما متّ ألا أذوقها
وتروي بخمر الحص لحدي فانني — أسير لها من بعد ماقد أسوقها

فأتت سعداً فصالحته ، وكانت مغاضبة له ، وأخبرته بخبر أبي محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم ، والله لا أجيب لساني الى صفة قبيح أبدا .

* * *

قائد القادسية

سعد بن أبي وقاص

*** اول من اراق دما في سبيل الله ،**
واول من رمى بسهم في سبيل الله[1] .

سعد بن أبي وقاص ، وهو سعد بن مالك ، واسم أبي وقاص: مالك بن وُهَيب ، وقيل : أهيب بن عبد مناف بن زهرة .. القرشي الزهري ، يكنى أبا اسحق ، وأمه حمْنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس .

أسلم بعد ستة ، وقيل بعد أربعة ، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة ، قال سعد : أسلمت قبل أن تفرض الصلاة ، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة ، وأحد العشرة ، سادات الصحابة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض .

قال سعد : رأيت في المنام ، قبل أن أسلم ، كأني في ظلمة لا أبصر شيئا اذ أضاء لي قمر ، فاتبعته ، فكأني أنظر الى من سبقني الى ذلك القمر ، فأنظر الى زيد بن حارثة ، والى علي بن أبي طالب ، والى أبي بكر ، وكأني أسألهم : متى انتهيتم الى هاهنا ؟ قالوا : الساعة ، وبلغني أن رسول الله ﷺ يدعو الى الاسلام مستخفيا ، فلقيته في شعب أجياد[2] ، فأسلمت ، فما

---

(١) راجع أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج : ، ص : ٣٦٨ ، وسيرة ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٦٣ . وكتاب الاوائل لابي هلال العسكري ، ص : ١٧٢ .
٢ ـ اجياد : جبل بمكة .

تقدمني أحد الا هم .

وقال : كنت رجلا براً بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ماهذا الدين الذي أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا ، أولا آكل ولاأشرب حتى أموت فتعير بي . فقال سعد : لا تفعلي يا أمه . فاني لا أدع ديني ، قال : فمكثت يوما وليلة لا تأكل ، فأصبحت وقد جهدت ، فقلت : والله لو كانت لك ألف نفس ، فخرجت نفسا نفسا ، ماتركت ديني هذا لشيء ، فلما رأت ذلك أكلت وشربت ، فأنزل الله الآية : « وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا »[1] .

شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأبلى يوم أحد بلاء عظيما ، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله .

كان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين فأنكروا عليهم صلاتهم ، وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي جمل[2] فشجه ، فكان أول دم أهريق في الاسلام .

---

(١) سورة لقمان ، الآية الكريمة : ١٥ .

(٢) اللحي منبت اللحية من الانسان وغيره ، والمراد هنا : عظم الحنك الذي عليه الاسنان .

أقبل سعد يوما فقال رسول الله ﷺ : هذا خالي فليرني امرؤ خاله[١] ، وانما قال هذا لان سعدا زهري ، وأم رسول الله ﷺ زهرية ، وهو ابن عمها ، فانهـا آمنـة بنت وهب بن عبـد مناف بن زهرة ، يجتمعان في عبد مناف ، وأهل الأم أخوال •

اختاره عمر بن الخطاب لقتال الفرس في القادسية ، وهو الذي فتح المدائن ، مدائن كسرى بالعـراق ، وهو الـذي بنى الكوفة ، وولي العراق ، ثم عزله عمر ، فلما حضرت الوفاة جعله أحد أصحاب الشورى ، وقال : ان ولي سعد الامارة فـذاك ، وإلا فأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله ، فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة ، فولاه عثمان الكوفة ثم عزله •

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن خبر سعد بن أبي وقاص ، فقال : متواضع في خبائه ، عربي في نمرته[٢] ، أسد في تاموره[٣] ، يعـدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد في السرية ، ويعطف علينا عطف الأم البرة ، وينقل الينا حقنا نقـل الذرة[٤] •

قال رسول الله ﷺ : « اللهم استجب لسعد اذا دعاك » •

---

(١) في طبقات ابن سعد (٣/١ : ٩٧) : فليريا •

(٢) النمر : بردة من صوف يلبسها الاعراب •

(٣) التامور : صومعة الراهب ، « لسان العرب ، جـ : ٤ ، ص : ٩٤ » ، وفي الصحاح : التامورة : الصومعة •

(٤) الذرة : النملة الحمراء الصغيرة •

وكان لا يدعو إلا استجيب لـه ، وكان النـاس يعلمون ذلك ، ويخافون دعاءه .

كان بسعد قروح وعرق النسا ، فمنعه من شهود القتـال ، لكنه جلس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضا باليد ، لا يمتنع منهم، وعنده امرأته سلمى بنت خَصَفَةَ التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة الشيباني ، فلما فر بعض الخيـل يومئذ فزعت وقالت : وامثنياه ولا مثنى لي اليوم .

فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت : أغيرة وجبنا ، يعني أنها تعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب ، وهذا عناد منهـا فانها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك .

روى سعد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، روى عنـه ابن عمر ، وابن عباس ، وجابر بن سمرة ، والسائب بن يزيد ، وعائشة ... قال ابنه عامر : قلت لأبي : يا أبه ، إني أراك تصنع بهذا الحي من الانصار ما تصنعه بغيرهم ، فقال : أي بني ، هل تجد في نفسك من ذلك شيئا ؟ قال : لا ، ولكن أعجب من صنيعك! قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم الا منافق[1] » .

قال علي بن أبي طالب : ما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه

---

(١) أسد الغابة ، جـ : ٢ ، ص : ٣٦٩ .

لاحد إلا لسعد بن أبي وقاص[1] . قال له يوم أحد : ارم فـداك أبي وأمي ، ارم أيها الغلام الحزور[2] . ورمى سعد يوم أحـد ألف سهم .

ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ، ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة ، بل لزم بيته ، وأراده ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبه ابن أبي وقاص أن يدعو إلى نفسه ، بعد قتل عثمان ، فلم يفعل ، وطلب السلامة ، فلما اعتزل طمع فيه معاوية ، فكتب إليه سـعد أبيات شعر :

معاويَ داؤُكَ الداء العَيَاء	وليس لمـا تجيء بـه دَواءُ
أيدْعوني أبو حَسَـنٍ عليٌّ	فلم أردُد عليـه ما يشـاءُ
وقلت له : اعطني سيفاً بصيراً	تَميز بـه العداوةُ والولاءُ
أتَطْمَعُ في الّذي أعيا عليّا	على ما قد طمعتَ به العفـاءُ
لَيَوم منـه خير منك حيّاً	ومَيْتاً أنت للمرءِ الفداء[3]

توفي سعد بن أبي وقاص سنة خمس وخمسين ، وكان آخر المهاجرين موتاً، ولما حضرته الوفاة دعا بِخَلَق جُبَّة له من صوف، فقال : كَفّنوني فيها ، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر ، وهي علي ، وإنما كنت أخبئها لهذا .

توفي (بالعقيق) على سبعة أميال من المدينة المنورة ، فَحُمل

(١) روي انه جمعها أيضا للزبير بن العوام .
(٢) الغلام الذي قارب البلوغ .
(٣) أسد الغابة ، جـ : ٢ ، ص : ٣٦٩ .

على أعناق الرجال إلى المدينة المنورة . فأدخل المسجد . فصلى عليه مروان . وأزواج النبي ﷺ .

رحم الله الذي عانق الإسلام وهو ابن سبع عشرة سنة .

رحم الله من كان في روحه شفافية ، وفي قلبه يقين ، وفي روحه نور . وفي دعائه استجابة .

رحم الله سعداً فقد كان مثال الفرد المسلم الملتزم ، القائد المخلص لجند الاسلام في القادسية .



يَوْمُ عِمَاس

فان كنت قاتلت العـــدو فللنه
فاني لالقى في الحروب الدواعيا
« القعقاع بن عمرو »

أصبح القوم لليوم الثالث ، وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان ، ومن جريح وميت بين المشركين عشرة آلاف ، فنقل المسلمون قتلاهم الى المقابر ، والجرحى الى النساء . وحفرت النساء في حماسة وبطولة وحمية مع الصبيان القبور للشهداء ، الذين أشرف عليهم حاجب بن زيد ، أما قتلى الفرس ، فبين الصفين لم ينقلوا .

بات القعقاع لا ينام ، ينظم خطة الى يوم حاسم ، فجعل تلك الليلة يسرّب أصحابه الى المكان الذي فارقهم فيه من الامس ، وقال : اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة لا يشعر بكم أحـد ، وسبقهم الى قطعات العدو ، فلما ذر قرن الشمس، أقبل الى القعقاع أصحابه ، وأقبل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من الشام ، فحين رآهم المسلمون كبروا ، ونظم هاشم رجاله سبعين سبعين ، ودخلوا دون راحة الى قلب جيش الفرس ، حيث يعرفون أين شدة الوطيس، شدته حيث القعقاع ، وابتدأ القتال بشدة لهذا اليوم الثالث « يوم عِماس أو عَمَوَاس[1] » . فاذا بالفرس قـد أصلحوا التوابيت

(١) يوم عماس ، أو عمواس ، او عموات ، لاخبار هذا اليوم راجع :
ـ الطبري ، جـ : ٣ ، ص : ٥٥٠ .
ـ الكامل في التاريخ ، جـ : ٢ ، ص : ٣٣١ .
ـ البداية والنهاية ، جـ : ٧ ، ص : ٤٣ .
ـ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، جـ : ٢ ، ص : ٩٩ .
ـ مروج الذهب ، جـ : ٢ ، ص : ٣٢٥ .

« الصناديق » التي يركبون بها على الفيلة ، فأقبلت الفيلة يحميها الرجالة ، فنفرت الخيل ، فكان قتالا شديدا على العرب والعجم سواء • وأثناء المعركة ، لا تكون حادثة تحدث ، الا أبلغها الفرس يزدجرد بالاصوات كما مر معنا ، فيبعث لهم يزدجرد النجدات ممن بقي عنـــده ، فيقوون بهم ، فلولا الهـــام الله القعقـــاع ما فعله بالأمس ، ومجيء هاشم من الشام لما صمد المسلمون ، وكان ممن جاء مع هاشم قيس بن المَكْشُوح[1] الذي حمّس قومه قائلا :

« يا معشر العرب ان الله قد من عليكم بالاسلام وأكرمكم بمحمد ﷺ فأصبحتم بنعمة الله اخوانا ، دعوتكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد أن كنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الاســد ويختطف بعضكم بعضــا اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم وتنجزوا من الله فتح فارس فان اخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام » •

ولا يخفى على العاقل ، أن لمثل هذه الخطب في مثل المواقف تأثيراً يفوق قوة المدد ، لذلك قلّ أن لا يكون بعـــدها نصر أو تقـــدم •

وقال عمرو بن معد يكرب : اني حامل على الفيل ومن حوله ، فلا تتأخروا عني فان تأخرتم فقدتم أبا ثور « يعني نفسه » ، وأين لكم مثل أبي ثور ؟ فان أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف ،

---

(١) قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح ابن هلال البجلي ، صحابي من الشجعان الابطال ، كان سيد « بجيلة » في الجاهلية ، وفارسها ، كنيته أبو شداد ، له مواقف في الفتوحات في زمن عمر وعثمان ، وفي القادسية وغيرها ، شهد قتال « نهاوند » وحضر « صفين » مع علي فقتل ، وهو ابن اخت عمرو بن معد يكرب ، توفي سنة ٣٧ هـ • « الاعلام ، جـ : ٦ ، ص : ٦١ » •

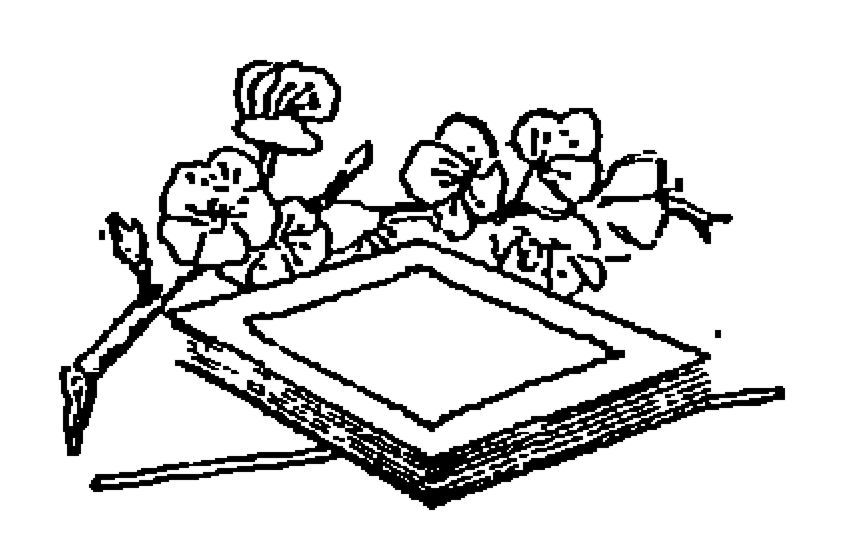
فحمل وضرب فيهم ، حتى ستره الغبار ، وحمل أصحابه فأفرج المشركون عنه ، بعدما صرعوه وسيفه في يده يصارعهم ، فطعن الفرس فرسه ، فأخذ برجل فرس أعجمي بقوة ، فلم يطق الفرس الجري ، فنزل عنه صاحبه الفارسي الى أصحابه متعجبا ، كيف أوقف عمرو بيده الفرس ولم يعد يستطيع الجري رغم قوة الفرس، فركب عمرو فرس الفارسي وتابع جهاده .

وبرز فارسي ، فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له : شبر بن علقمة وكان قصيرا ، فنزل الفارسي اليه ، فاحتمله وجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه ليذبح شبراً ، لكن مقود فرس الفارسي مشدود في وسطه الى منطقته ، فلما سلّ سيفه ، نفر الفرس ، فجذبه المقود فقلبه عن شبر ، فتبعه شبر فقتله ، وأخذ ما معه .

رأى سعد الفيلة قد فرقت بين الكتائب ، وعادت لفعلها « يوم أرماث » اليوم الاول ، فأرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو : اكفياني الفيل الابيض ، وقال لحمّال والربّيل : اكفياني الفيل الأجرب وكان بازائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين ليّنين ، وتقدما في خيل ورجالة ، وهكذا فعل حمّال والربّيل بمثل فعلهما ، حمل القعقاع وأخوه عاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما في عيني الفيل الابيض ، فنفض رأسه ، فطرح ساسته الذين عليه ، ودلى مشفره ، فضربه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، وقتل المسلمون من كان على الفيل ، وحمل حمّال والربّيل

الاسديان على الفيل الاجرب ، فطعنه حمال في عينه فأقعى[1] ، ثم استوى ، وضربه الربّيل فأبان مشفره ، وبصر به سائسه ، فضرب الربّيل فبقر أنفه وجبينه « بالطبر°زين » . فأفلت الربّيل جريحا ، وبقي الفيل جريحا بين الصفين ، كلما جاء صف المسلمين وخزوه . واذا جاء صف الفرس نخسوه[2] ، فولى الفيل وقد عور حمّال عينيه ، فألقى نفسه في العتيق ، فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم ، فعبرت في أثره ، وبقيت تعدو حتى وصلت المدائن . وهلك من في توابيتها ، فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون منها ، تزاحفوا فاجتلدوا ، وأمسى الطرفان على السواء ، رغم اشـتداد القتال ، وقال القعقاع في هذا اليوم أبياتا منها :

فان كنت قاتلت العـدو فللته ... فاني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولا أراهـا كالبيوت مغيرة ... أسمّل[3] أعيانا لهـا ومآقيا



(١) أقعى : جلس على إليتيه مفترشا رجليه ، وناصبا يديه « مختار الصحاح ، ص : ٤٦٩ » .

(٢) نخس : نخسه بالعود من باب نصر وقطع ، ومنه سمي « النخاس » .

(٣) سمل العين : فقؤها بحديدة محماة .

اليوم الرابع

يوم القادسية

قتل رستم

✶ « ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم: فاصبروا ساعة : واحملوا فان النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع »

القعقاع بن عمرو

سميت هذه الليلة « بليلة الهرير » لترك الناس الكلام . وانما كانوا يهرون هريرا . وفي هذه الليلة : حمل القعقاع وأخوه عاصم والجيش كله على جيش الفرس بعد صلاة العشاء . فكان صليل الحديد فيها كصوت سوق الحدادين حتى الصباح : وبات سعد ليلة لم يبت مثلها ، ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله قط ، وانقطعت الاخبار ليلا عن سعد ورستم ، وأقبل سعد على الله يدعوه أن ينصر جنده ، فلما طلع الصباح ورأى سعد جنده استبشر ، فانهم هم الأعلون ، وكان أول شيء سمعه في نصف الليل الباقي حتى الصباح صوت القعقاع وهو يقول :

نحن قتلنا معشراً وزائداً   أربعة وخمسة وواحدا

نحسب فوق اللبد الأساودا   حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربي واحترزت عامدا

فلم ينم الناس تلك الليلة، وكان القعقاع محور المعركة الفاصلة(١)

---

(١) كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص : أي فارس كان أفرس في القادسية ؟ فكتب اليه : اني لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل في يوم ثلاثين حملة يقتل في كل حملة بطلا « من الفرس » .

ورأى أنها طالت ، فسار الى الناس يقوم محمّساً مشجعاً : **« ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة ، واحملوا فان النصر مع الصبر ، فآثروا الصبر على الجزع »** . فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء ، وقصدوا رستم وصمدوا وخالطوا الذين دونه ، فلما رأت القبائل العربية ، ما يصدر عن القعقاع وأخيه عاصم الأسديين من أعمال خالدة ، قام الرؤساء في قبائلهم وقالوا : لا يكونن هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم ــ وهذا تنافس في الجهاد ماأروعه ــ وقالوا : ولا يكونن الفرس أجرأ على الموت منكم ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ،تنافسوها . فحملوا فيما يليهم ، وخالطوا من بازائهم حتى قام قائم الظهيرة ، فكان أول من زال الفيرزانّ والهرمزان ، فتأخرا وانفرج القلب ، وأرسل الله ريحا عاصفا صارت تذر الغبار في أعين الفرس ، حتى قلعت طيّارة رستم فهوى بسريره وعلاه الغبار ، فوصل القعقاع ومن معه الى السرير ، فعثروا به وقد قام رستم عنهْ ، حين أطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ ، فهي واقفة ، فاستظل في ظل بغل فوقه حمله ، فضرب هلال بن علتّفة[1] الحمل الذي تحته رستم ، فقطع حباله ، فوقع الحمل على رستم وهلال لا يشعر به ، ولا يعرف مخبأه ، لكن رستم مضى مسرعا نحو العتيق فرمى نفسه ، فرآه هلال بن علتّفة ، فلحق به وارتمى عليه وتناوله من رجليه ، وقد عام في الماء الذي في العتيق ، فأخرجه ثم ضرب جبينه بالسّيف حتى قتله ، ثم ألقاه بين أرجل البغال ، ثم صعد طرف السرير وقال : قتلت رستم ورب

(١) في مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٧ ، هلال بن علقمة من تميم .

الكعبة الي ّ الي ّ ، فكبر الجميع وهم يطوفون به يرون رأس رستم، فلما رأى الفرس بعد قتال يومين كاملين ، أن أكبر قواد فارس قُتل، انهزموا ، وقام الجالينوس ونادى الفرس الى عبور النهر ، وفرار من يقتدر على النجاة ، فتهافت في العتيق الكثير، فوخزهم المسلمون برماحهم ، فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا ، واستطاع ضرار بن الخطاب[1] أن يأخذ العلم الاكبر للفرس ، واسمه « درفش كابيان »[2] ، وتبع بعض الفرسان الفرس حتى أوقعوا بهم .

قتل من المسلمين ليلة الهرير ويوم القادسية ألفان وخمسمائة. فأمر سعد خالد بن غرفطة بدفن الشهداء وجمع الاسلاب ، وقتل من الفرس ليلة الهرير وحدها عشرة آلاف . وتوّج الانتصار عندما لحق زهرة بن الحويّة التميمي بالجالينوس فقتله .

ان القادسية من معارك الاسلام الحاسمة ، وقد علم الفرس هذا كما علمه العرب وعلموا أن ثبات ملكهم وزواله بالقادسية، حتى صار أحدهم لا ينظر بأمر بسيط ، ويقول لا أفعل حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية ، فكان ما يكرهون .

* * *

---

(١) ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري ، فارس شاعر ، صحابي . من القادة ، من سكان الشراة فوق الطائف ، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال ، وأسلم يوم فتح مكة ، ولم يكن في قريش أشعر منه ، له أخبار في فتح الشام أيضا .

(٢) في مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٨ : « انها من جلود النمور المعروفة بدرفش (كاويان) ، وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر ، فعوض منها ثلاثين الفا ، وكانت قيمتها ألفي الف ومائتي الف » .

عمر والانتصار

✶ قال عمر بعد وصول الغنائم الكثيرة :
« ان قوما ارسلوا هذا لذوو امانة » فقال علي :
« انك عففت فعفت الرعية » .

كان عمر مشغول القلب والفكر جـدا بأمر القادسية فكان يخرج في كل يوم متنسماً أخبار جيشه ، منذ الصباح الى انتصاف النهار ، لعله يرى من يزف اليه البشرى بالنصر ، ولكنه يرجع الى أهله ومنزله دون أن يرى أحدا .

وفي اليوم الذي ورد فيه البشير ، لقيه عمر وهو يسرع على ناقته ، فسأله عمر ، من أين ؟ فأخبره أنه من قبل سعد آت مـن القادسية ، فقال عمر : يا عبد الله حدثني ، قال : هزم الله العدو . كل هذا والبشير مسرع على ناقته وعمر رضي الله عنه يجري وراءه ويستخبره ، وذاك يسرع على ناقته ولا يعرف عمر ، حتى دخل المدينة المنورة ، فاذا بالناس يسلمون على عمر بإمرة المؤمنين ، فقال الرجل : فهلاّ أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟! وعمر يقول لا عليك يا أخي[1] ، فنادى الصلاة جامعة ، وزف بشرى النصر الى الناس ، وقرىء كتاب الفتح وهو :

((أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا

---

(١) البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٤٤ .

المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبهموه ونقله عنهم الى المسلمين ، وأتبعهم المسلمون على الانهار وعلى طفوف الآجام ، وفي الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارىء وفلان وفلان ••• ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم آساد لا يشبههم الاسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقي الا بفضل الشهادة اذا لم تكتب لهم(١) » •

وكتب سعد كتابا آخر يستشير به عمر عما يعمله : « ان أهل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهده ، ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ، وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن ، فأحدث الينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادعى انه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم ، فأنا في أرض رغيبة والارض خلاء من أهلها ، وعددنا قليل ، وقد كثر أهل صلحنا ، وان أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم » ، فقام عمر فاستشار الناس وكان مما كتبه لسعد جوابا :

« أما بعد فان الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات ، الا في أمرين العدل في السيرة والذكر ، فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة ولم يرض منه الا بالكثير • وأما العدل فلا رخصة فيه قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء ••• وجاء ••• وأما من أعان رجلا فذلك أمر الله جعله لكم فان شئتم فادعوهم الي أن يقيموا لكم في أرضهم ولهم الذمة وعليهم الجزية وان كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم ••• »

---

(١) البداية والنهاية ، جـ : ٧ ، ص : ٤٦ •

لما فرغ سعد من القادسية ، أقام بها بعد النصر شهرين ، كان يكاتب عمر فيهما فيما يفعل ، فأمره عمر بالسير الى المدائن ، فسار عن طريق بابل ، وأمره أن يوجه كتيبة باتجاه « الأبلة » ، فاختار لهذه الكتيبة عتبة بن غزوان[1] ، ووجهها الى الأبلة ، لتمنع امتداد الفرس من هذه الجهة الجنوبية ، فسار غزوان الى مكان البصرة الحالي ، اذ لم تكن ، فاختط حدودها وبنيت البصرة .

في بابل ، التقى جيش سعد وفي مقدمته زهرة بن الحويّة بجيش فارسي ، فيه بقايا جيش القادسية فهزمه ، ففر الهرمزان نحو الأهواز ، وخرج الفرزان الى نهاوند ، وصعد الباقون الى المدائن ، ثم وصل سعد المدائن ، وفي ١٦ هـ في صفر دخل سعد المدائن ، التي فيها ايوان كسرى ، بعد أن عبر الدجلة وهو في أوج فيضانه ، وكان حامي العبور عاصم بن عمرو ، عبروا النهر وخرج الناس سالمين ، وهرب يزدجرد نحو الشمال بعد فتح المدائن .

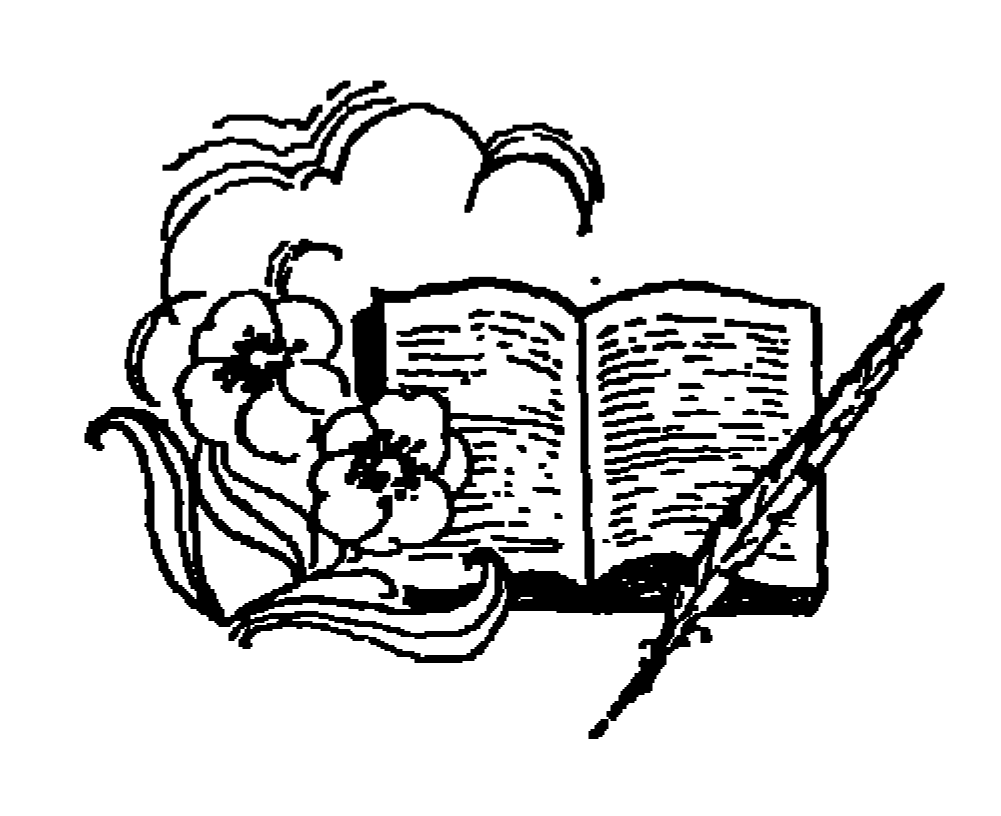
وأول كتيبة دخلت المدائن كتيبة الأهوال « هكذا اسمها » ، وهي كتيبة عاصم بن عمرو ، ثم دخلت كتيبة القعقاع واسمها « الكتيبة الخرساء » . فاتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ودخله وهو يقرأ : **« كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها**

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المزني ، أبو عبد الله ، باني مدينة البصرة ، صحابي قديم الاسلام ، هاجر الى الحبشة ، وشهد بدرا ، ثم شهد القادسية مع سعد ، ووجهه عمر الى أرض البصرة واليا عليها ، وكانت تسمى الأبلة . فاختطها عتبة ومصرها ، وسار الى ميسان وابزقباذ فافتتحهما ، وقدم المدينة لامر خاطب به أمير المؤمنين عمر ، ثم عاد فمات في الطريق ، وكان طويلا جميلا ، من الرماة المعدودين ، روى عن النبي ﷺ أربعة أحاديث . « الاعلام ، ج : ٤ ، ص : ٣٦٠ » .

فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » ، وصلى فيــه صــلاة الفتح (ثماني ركعات لا يفصل بينهن فاصل) ولا تُصَلى جماعة ، وأتم الصلاة العادية لانه نوى الاقامة •

كــانت غنــائم المسلمين في هــذه الحــروب لا تعــد ولا تحصى : منهــا ثيــاب كسرى المنسوجــة بالــذهب ، وهي مــن الديبــاج المنظــوم بالجواهــر ••• وبعثوا بتاج كسرى وحليتــه وســواريه وثيــابه وســيفه وجواهره ويواقيتــه الى عمر ، ليرى ذلك المسلمون ، وليوزعها على الامة ، فقال عمر :
ان قوما أرسلوا هذا لذوو أمانة ، فقال علي : انك عففت فعفت الرعية •



خاتمة

✱ « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب[1] » .

رسول الله ﷺ .

✱ وهكذا رأينا ، أن عمر رضي الله عنه ، هو الذي سيّر البعوث الى العراق ، انه أعدّ للقادسية قائدها ، ومكانها ، وخطتها .. وبقي رضي الله عنه على صلة دائمة مع سعد ، وكأنه ينظر الى المعركة بعين بصيرته .. فقد وصفه النبي ﷺ ، انه من المحدّثين .. وللمحدثين علامات لا بدّ أن تظهر .. وقصة (سارية) دليل على بصيرة عمر النفّاذة ، وروحه الطليقة ، التي كشف الله عنها الغطاء ، فانعدمت المسافات[2] .

ـ من هو سارية ؟

سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة[3] .

كان من أشد الناس خُضْراً[4] ، وهو الذي ناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه « عندما كان في ايران » ، عندما كان في

(١) رواه الترمذي ، والامام أحمد .
(٢) وهذا ما يسمى في علم الروح الحديث : الجلاء البصري ، وما جرى لسارية يسمى : الجلاء السمعي .
(٣) راجع « أسد الغابة » الجزء الثاني ، صفحة : ٣٠٦ ، طبعة دار الشعب .
(٤) الخضر : العدو .

شرق العراق على حدود ايران : يا سارية ، الجبل ، الجبل •• لقد كان عمر يخطب على منبر رسول الله يوم الجمعة ، فعرض له في خطبته أن قال : « يا سارية ، الجبل ، الجبل ، من استرعى الذئب ظلم » •

فالتفت الناس بعضهم الى بعض ، فقال علي : ليخرجن مما قال ، فلما فرغ من صلاته قال له علي : ما شيء سنح لك في خطبتك ؟ قال : وما هو ؟ قال : قولك : يا سارية ، الجبل ، الجبل ، من استرعى الذئب ظلم • قال عمر : وهل كان ذلك مني ؟ قال : نعم ، قال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا اخواننا ، فركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فان عدلوا اليه قاتلوا من وجدوا ، وقد ظفروا ، وان جاوزوا هلكوا ، فخرج مني ما تزعم أنك سمعته •

ولما جاء البشير بالفتح بعد شهر ، ذكر أنه سمع في ذلك اليوم ، في تلك الساعة من نهار الجمعة ، حين جاوزوا الجبل ، صوتاً يشبه صوت عمر يقول : يا سارية ، الجبل ، الجبل •• قال : فعدلنا اليه ، ففتح الله علينا •

※ رحم الله عمر •• لقد كان يعيش بقلبه وروحه فتوحات المسلمين ، ورضي الله عنه وعن تواضعه ، فعلى الرغم مما ظهر منه من كرامة سجلها له التاريخ ، تواضع قائلا : « فخرج مني ما تزعم انك سمعته » • لقد اعتبر الامر أمراً طبيعياً بسيطاً عادياً •

* * *

* ومما هو جدير بالذكر، ونحن في صدد القادسية، أن النبي ﷺ ، لما خرج مهاجراً جعلت قريش فيه مائة ناقة ، لمن يسلمه الى قريش حياً أو ميتاً ..

يقول الصديق رضي الله عنه[1] : فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا الا سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، على فرس له ، فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ، قال : لا تحزن ، ان الله معنا ، حتى اذا دنا منا قدر رمح أو رمحين ، قلت يارسول الله : هذا الطلب قد لحقنا ، وبكيت . قال : لم تبكي ؟ قلت : والله ما أبكي على نفسي ، ولكني أبكي عليك ، قال : فدعا عليه . فقال : اللهم اكفناه بما شئت ، فساخت فرسه الى بطنها في أرض صلد ، ووثب عنها ، وقال : يا محمد ، قد علمت ان هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله لأغيبنّ على من ورائي من الطلب ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأطلق ، وتكرّر سقوطه عن فرسه ثلاث مرات ... وفي الأخيرة قال له رسول الله : « كيف بك اذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه[2] ؟ » قال سراقة : كسرى بن هرمز !!؟ قال النبي : نعم . فعاد سراقة لا يلقاه أحد يريد الطلب الا قال : كُفيتم ، ما ههنا ، ولا يلقى أحداً الا ردّه .

---

(١) راجع : « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، الجزء الثاني ، صفحة : ٣٣١ وما بعدها ، طبعة « دار الشعب » . وراجع أيضا : « الكامل في التاريخ » : الجزء الثاني ، صفحة : ٧٤ ، طبعة عام ١٣٤٩ هـ .

(٢) رواه ابن عيينة عن أبي موسى عن الحسن رضي الله عنه .

وأسلم سراقة بعد فتح مكة ، عندما فرغ النبي من حُنين والطائف ، ولما أتى عمر رضي الله عنـه بتاج كسرى ومنطقتـه وتاجه ، دعا سراقة وألبسه اياهما ، وقال له عمر : ارفع يديك ، وقل : الله أكبر .. الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز ، الذي كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقة رجلا أعرابيا من بني مدلج .. ورفع عمر بها صوته[1] .

وهكذا تحققت نبوءة رسول الله ، التي قالها وهو في أشد ساعات الحرج ، عندما كان مطارداً مطلوباً من قومه ، لقد قالها في ساعات الهجرة .. ولكنها النبوّة .. ﷺ .

* وهذا يذكرنا بمعجزة لرسول الله أخرى ، عندما جعـل رسول الله لكل عشرة رجال اربعين ذراعاً يحفرونها حول المدينـة المنوّرة قبيل غزوة الأحزاب ، أو غزوة الخندق ، فكان سلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرّن ، وعمرو بن عوف .. وستة من الانصار ، يعملون .. فخرجت عليهم صخرة كسرت المعول ، فأعلموا النبي ﷺ ، فهبط اليها ومعه سلمان ، فأخذ المعول ، وضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين أطراف المدينـة .. فكبّر رسـول الله ﷺ والمسلمون ، ثم الثانية كذلك ، ثم الثالثة كذلك .. ثم خرج وقد صدعها . فسأله سلمان عمّا رأى من البرق ، فقال ﷺ : أضاءت الحيرة وقصور كسرى في الدقة الأولى ، وأخبرني جبريل أن أمتي

(١) « الكامل في التاريخ » ، صفحة : ١٢٢/١٢٣ ، في الجزء الثاني .

ظاهرة عليها . وأضاءت لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم ؛ وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها •• فأبشروا . فاستبشر المسلمون ، وقال المنافقون : ألا تعجبون ؟ يعدكم الباطل، ويخبركم انه ينظر من يثرب الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تُفتحُ لكم ؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ، فأنزل الله : « وإذْ يقولُ المنافقونَ والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا اللهُ ورسولهُ إلا غروراً » ، (الأحزاب : ١٢) •

* إنها النبوة •• ولكن بعض الناس لا يعلمون ••

إنها النبوة التي زكّت عمر ، وربته تربية روحية وعلمية عالية ، فوجّه جيش سارية في ايران وهو في المدينة المنورة •

إنها النبوة التي بشّرت بزوال ملك كسرى ، عندما أمر عامله على اليمن « باذان » ، أن يحضر النبي اليه ، فأرسل باذان الى النبي برجلين جلِديْن ، فقال النبي لهما : « إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى ، وينتهي منتهى الخف والحافر » ، وكانت القادسية ، ودخل المسلمون الحيرة ، وإيوان كسرى ، وتحققت معجزة رسول الله •• أما قرأ سعد الآية المناسبة في الوقت المناسب في المكان المناسب ؟ : « كمْ تركوا من جناتٍ وعيون ، وزروعٍ ومقامٍ كريم ، ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين » ، (الدخان : ٢٥ ـــ ٢٨) •

* إنها مدرسة النبوة ، التي هيأت لمعارك الاسلام الكبرى ••

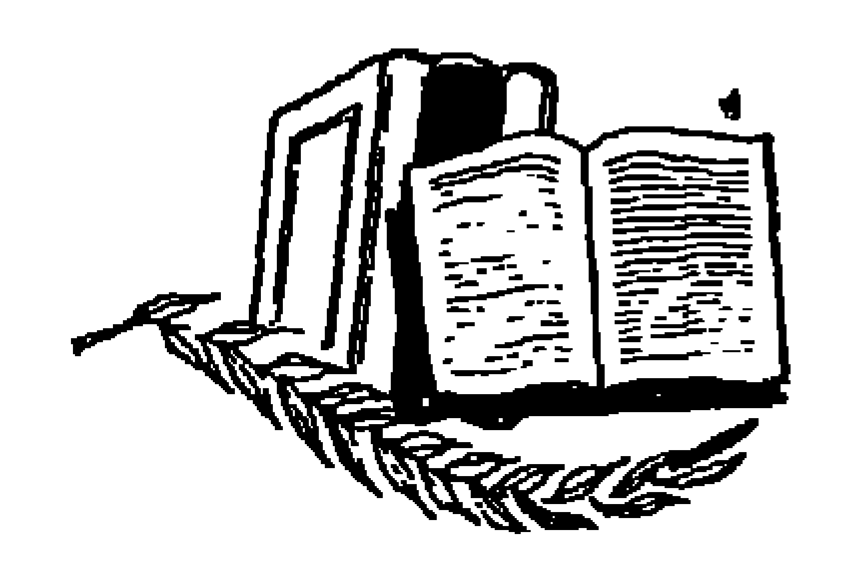
لقد هيأت القائد العام الأعلى سيدنا عمر .. وهيأت رجالاً هم رهبان في الليل ، فرسان في النهار ؛ منهم :

سعد قائد القادسية .

وخالد قائد اليرموك .

والنعمان بن مُقَرِّن قائد نهاوند ...

فإنهم أعلام هذه الأمة .. وكفاها فخراً وعزّة ..



المحتوى

للمؤلف

١ ـ الإسلام في قفص الاتهام (ترجم إلى الفارسية)

٢ ـ مَنْ ضيَّع القرآن ؟

٣ ـ الإنسان بين العلم والدين

٤ ـ هارون الرشيد

٥ ـ غريزة .. أم تقدير إلهي ؟

٦ ـ آراء يهدمها الإسلام

٧ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية

٨ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي

٩ ـ الهجرة « حدث غيَّر مجرى التاريخ »

١٠ ـ جرجي زيدان في الميزان

☆ ☆ ☆

سلسلة

«المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام»

١ ـ القادسية	بقيادة سعد بن أبي وقاص
٢ ـ اليرموك	بقيادة خالد بن الوليد
٣ ـ نهاوند	بقيادة النعمان بن مقرّن المزني
٤ ـ ذات الصواري	بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٥ ـ فتح الأندلس	بقيادة طارق بن زياد
٦ ـ بلاط الشهداء	بقيادة عبد الرحمن الغافقي
٧ ـ فتح صقلية	بقيادة أسد بن الفرات
٨ ـ الزلاقة	بقيادة يوسف بن تاشفين
٩ ـ الأرك	بقيادة المنصور يعقوب الموحّدي
١٠ ـ العقاب	بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحّدي
١١ ـ مصرع غرناطة	« أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر »

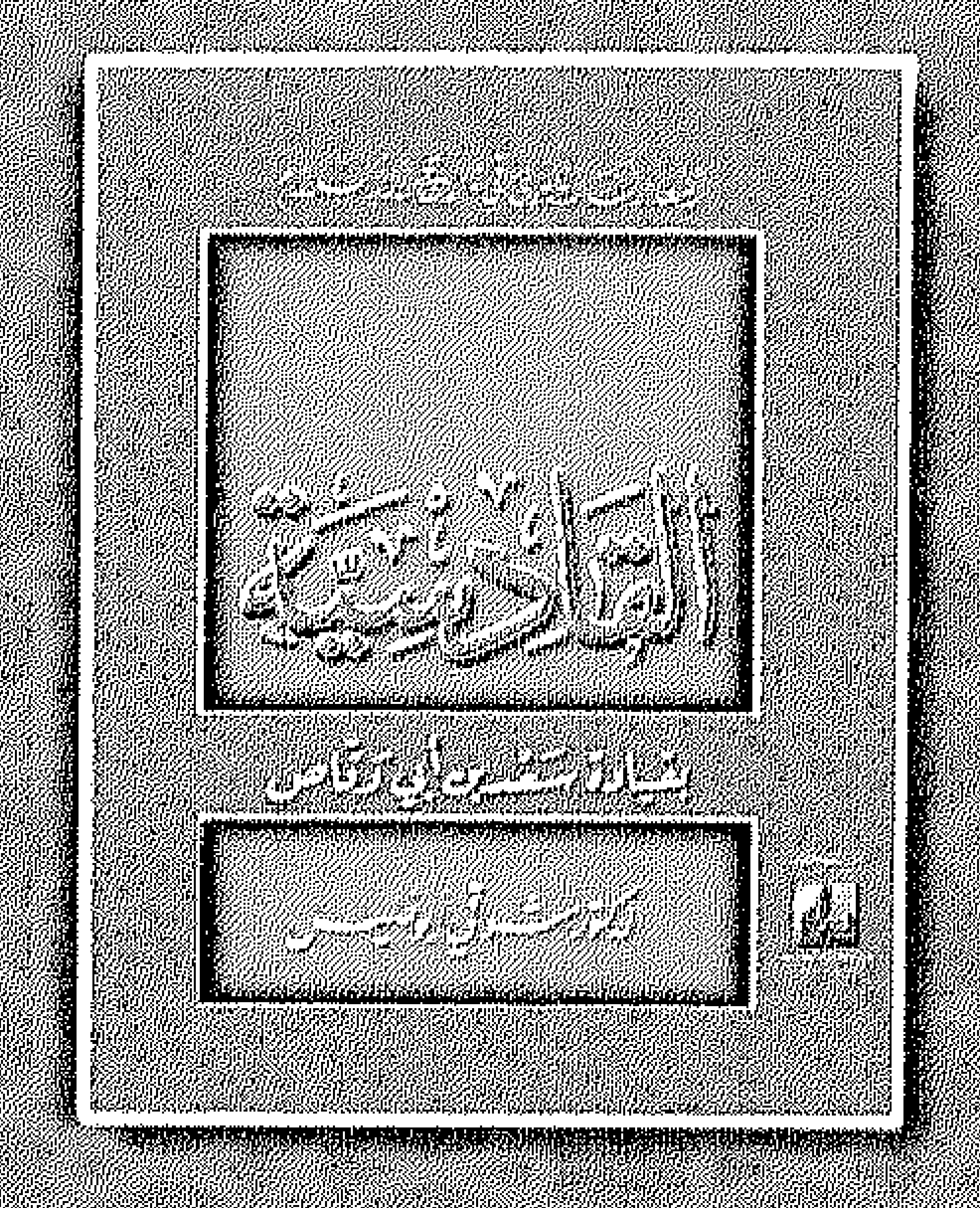
☆ ☆ ☆

غزوات الرسول الأعظم

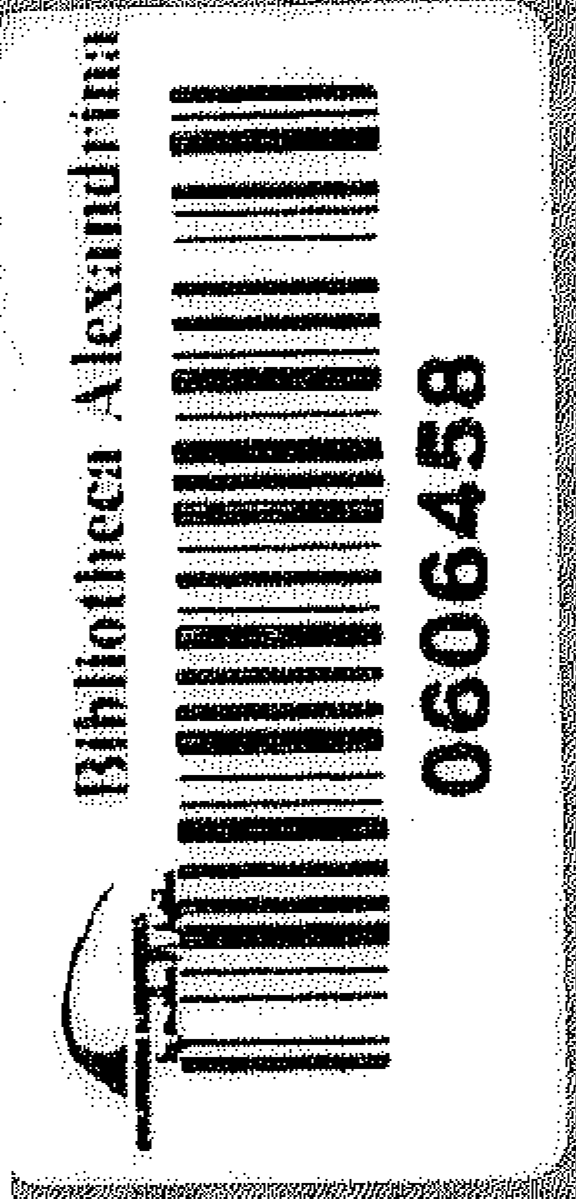
بَدر الكبرَى	:	رمضان ٢ هـ ـ كانون الثاني ٦٢٤م
غزوَة أُحُد	:	شوال ٣ هـ ـ كانون الثاني ٦٢٥م
غزوَة الخَندق	:	شوّال ٥ هـ ـ شباط ٦٢٧م
صلح الحديبيَة	:	ذي القعدة ٦ هـ ـ شباط ٦٢٨م
غزوة خَيبَر	:	المحرّم ٧ هـ ـ آب ٦٢٨م
غزوة مؤتة	:	جمادى الأولى ٨ هـ ـ إيلول ٦٢٩م
فتح مكة	:	رمضان ٨ هـ ـ كانون الثاني ٦٣٠م
حنَين والطائف	:	شوّال ٨ هـ ـ شباط ٦٣٠م
غزوة تَبُوك	:	رجب ٩ هـ ـ تشرين الأول ٦٣٠م
«حُروبُ الرِّدَّةِ»	:	«في خلافة الصّديق سنة ١١ هـ»

THE GREATEST BATTLES IN THE HISTORY OF ISLAM
Al-Qādisīyah
Dr.Shawqī Abū Khalil

المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام



- الأرك .
- بلاط الشهداء .
- ذات الصواري .
- الزلاقة .
- العقاب .
- عمورية .
- فتح الأندلس .
- فتح الديبل .
- فتح سمرقند .
- فتح صقلية .
- القادسية .
- مصرع غرناطة .
- نهاوند .
- وادي المخازن .
- اليرموك .



DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/


ISBN 1-57547-511-1
9 781575 475110